

ثروت أباظة أديباً

مأمون غريب

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مقدمة

عرفت الأديب الكبير ثروت أباظة منذ فترة طويلة .. ربما منذ بداية عملى فى الصحافة فى منتصف الستينيات .. وأجريت معه حوارات كثيرة، بجانب قراءاتى لكل إبداعاته الروائية والقصصية أو ما يكتبه من مقالات فى مختلف المجالات السياسية والثقافية، ومن هنا فقد أتاح لى ذلك الاقتراب منه كشخص، والاقتراب منه كأديب ومفكر.

والاقتراب منه كشخص جعلنى أعرف ملامح شخصيته .. فهو إنسان شديد الثقافة، وشديد التواضع فى نفس الوقت، مما يجعله قريباً إلى نفسك .. فإنه إذا تحدث عن نفسه ففى تواضع شديد، كما أنه حريص كل الحرص على أن يقدم ما يستطيع من خدمات شخصية، فليس مناعاً للخير، ولا حاقداً على أحد، إنما هو شديد الإعجاب بالأدباء الجادين - بلا غيرة ولا حسد - وهو يقدم يد المساعدة للغير فى مجال الإبداع الأدبى، أو إذا كان الإنسان فى حاجة إلى خدمة مشروعة .. بلا منّ ولا أذى.

وهذا ما قربنى إليه كإنسان يعرف واجبه كإنسان فى مجتمعه .. أما ثروت أباظة الأديب المفكر .. فقد أعجبتنى كتاباته الروائية والقصصية، لما فيها من عمق ولما فيها من نظرة متعمقة للحياة.

فثروت أباظة لا يعيش فى برج عاجى .. إنما هو فلاح بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .. يعرف قيمة الأرض، ومن يعملون فى هذه الأرض .. وقصصه التى تنبع من هموم الفلاح .. [illegible] الريف .. تدل على ارتباطه بالأرض، وبإنسان هذه الأرض.

وربما ينخدع القارىء فيه على أساس أنه (ابن ذوات) .. ابن طبقة الباشوات .. ولكن الاقتراب منه يشعرك أن انتماءه لطبقة الارستقراطية المصرية، لم يبعده أبداً عن حياة الناس، والتعبير عن همومهم وآمالهم بأسلوب بالغ الصدق .. وبالغ الفهم لما يحرك الناس، من التطلع إلى حياة أكثر أملاً وإشراقاً، وإن ضل بعضهم الطريق إلى تحقيق هذه الأهداف .. فتحولهم الأهواء إلى طرق غير مشروعة، أو يسوقهم هوى النفس إلى الخروج على تقاليد المجتمع وأعرافه.

وهناك من رواياته من استقاها من القرآن الكريم، فجاءت هذه الروايات متكاملة العناصر .. واضحة الرؤى .. ثرية فى أحداثها وشخصياتها .. ولا يملك القارىء بعد أن يتم قراءتها إلا أن يشعر بالهدف الذى يرمى إليه المؤلف بلا خطابة .. ولا مباشرة .. ولا سرد ممل ..

ولأن الكاتب على دراية متعمقة بالتراث العربى، ويحفظ مئات القصائد من عيون الشعر العربى، فقد مكّنه ذلك من أن تكون أعماله الأدبية فيها رصانة الأسلوب العربى دون أن يُدخلك فى متاهات غريب الألفاظ، أو الكلمات المهجورة.

و .. الإبحار فى عالم ثروت أباظة .. هو إبحار فى عالم بالغ الثراء والفن والعطاء .. ولنبدأ رحلتنا مع الأديب الكبير وعالم الثراء

مأمون غريب

تمهيد

عرفت الأديب الكبير ثروت أباظة منذ أكثر من ثلاثين عاماً..

عرفته إنساناً.. وعرفته أديباً.

ولم يتغير الرجل طوال حياته.. هو هو.. نفس الإنسان الذى يعشق الحرية.. ويعشق الكرامة الإنسانية.. ولا يطيق الديكتاتورية.. ويحب أن يعيش الناس جميعاً فى ظل الأمن والأمان.. بعيداً عن القهر.

وتدور رواياته كلها حول الحرية والعدالة، وأهمية أن يعيش الإنسان بعيداً عن العبودية والذل.. لأن الخير سوف ينتصر فى النهاية مهما كانت أشواك الطريق.

ورغم أن الرجل عاش ونشأ فى ظل أسرة ثرية من الباشوات، أسرة ساهمت فى الحياة السياسية المصرية على مدى سنوات طويلة، إلا أن الرجل كان بسيطاً ومتواضعاً.. ومحباً للخير، يسعد لسعادة الآخرين.. ويتألم لآلامهم.. لم يعرف الحقد ولا الضغينة ولا الحسد، وكان يحب الناس جميعاً، ويتمنى أن يساعدهم عندما يلجأون إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وإذا كانت المهمة الأساسية للأدب كما يقول الأديب الروسى تولستوى: أن يحدث الناس عن الناس.. فكل كتابات ثروت أباظة تحدث الناس عما يجرى فى دنيا الناس فى مختلف نواحى الحياة السياسية منها والاجتماعية على السواء.

رأيته حزيناً كئيباً أيام النكسة عام ١٩٦٧ .

ورأيت وجهه يتهلل فرحاً عندما تحقق النصر فى عام ١٩٧٣ . . عندما كسرنا حاجز الهزيمة، وكسرنا اليد الطويلة للعدو، واجتاز جيشنا العظيم خط بارليف . . وحطم أسطورة العدو الذى لا يُقهر، إسرائيل . كانت فرحته عارمة لأنه كان يحب كل ذرة من تراب هذا الوطن .

وكتب الرجل كثيراً عن انتصارات وطنه وفخره بذلك . . كما كتب منددا من الذين يتخذون من الدين وسيلة للإرهاب مع أن ديننا دين العفو والتسامح والسمو . . وهاجم الديكتاتورية متمنياً أن تسود روح الديمقراطية وتظلل بلادنا حتى تصبح بلدنا واحة للأمن والأمان . . وهاجمه البعض، كما هاجموا أدبه . . لا لأنه ليس أديباً بالفعل، ولكن الهجوم كان بسبب الاختلافات الأيدلوجية، وبذلك لم يكن نقدهم له نقداً موضوعياً، ولكنه كان أبعد ما يكون عن النقد الموضوعى .

فمن حقك أن تختلف معه فى الآراء والاتجاهات ولكن الاختلاف شىء، والتجريح الشخصى شىء آخر !

ومع ما تعرض له من هجوم، فقد ظل الرجل مؤمناً بما يكتب، وظل يكتب إلى آخر لحظة من حياته . . رغم ما كان يعانيه من آلام المرض ويمكن أن تلخص ما كان يؤمن به فى كل كتاباته بأنه الحرص على الحرية والعدالة وإنسانية الإنسان .

ومن خلال إبحارنا مع عالمه الإبداعى نرى هذه الحقيقة واضحة المعالم والقسمات..

وإذا كان من الصعب أن نقف أمام كل إبداعه الأدبى، ودراساته الأدبية، ومقالاته السياسية، فلنقف عند بعض هذه الأعمال التى كانت علامة طريق فى إبداعاته الأدبية، ولنشير إليها مجرد إشارة إصبع، أو من خلال نظرة طائر كما يقولون.

هارب من الأيام

- ١ -

كان أول كتاب قرأته لثروت أباظة رواية هارب من الأيام، وقد دفعني إلى قراءة تلك الرواية ما كتبه عنها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، وإشادته بها..

غير أنه لفت نظري أن طه حسين توقف عند عنوان الرواية - هارب من الأيام - على أساس أنه لا يمكن للإنسان أن يهرب من الأيام.

فقد كتب يقول:

«أعترف بأن عنوان هذه القصة وقع من نفسي موقع الغرابة، فليس الهروب من الأيام شيئاً يتاح للأحياء مهما يفعلوا إلا أن يفرضوا على أنفسهم الموت، أو يفرضوا عليها الغفلة المطلقة المطبقة.

فالإنسان الحي أسير الزمن يدخل فيه منذ تشيع الحياة ولا يخرج منه إلا حين تنقطع الأسباب بينه وبين الحياة، أو حين يضطر نفسه إلى الذهول الشامل الذي يصرفه عن كل شيء ويقطع الصلة أو يخيل إلى صاحبه أنه يقطع الصلة بينه وبين الزمان والمكان، وما يتعاقب فيهما من الأحداث، وما يلم بالأحياء والأشياء بينهما من الخطوب».

وأخذ الدكتور طه حسين بعد ذلك يلخص هذه القصة، ثم أخذ يطرح رؤيته لها، مشيداً بهذا العمل الروائى لهذا الأديب الشاب.

وعندما قرأت عنوان هذه الرواية، لم يذهب خيالى إلى مناطق الفلسفة، وهل يمكن أن يهرب الإنسان من الأيام، أم أنه من الصعوبة بمكان أن يهرب الإنسان منها إلا بالموت.. ولكن كان أول ما تبادر إلى ذهنى عندما قرأت هذا العنوان، أن المؤلف يقصد به أن بطل القصة يريد أن يهرب من واقعه، بعد أن ضاق به ذرعاً، أو بعد أن حاصرته الأيام بهمومها وشرورها، أو لأنه لم يستطع أن يحقق ما تصبو إليه نفسه.

هذا هو الخاطر الذى جاش فى نفسى عندما قرأت عنوان هذه الرواية، قبل أن أقرأ سطورها وأحداثها.. ولم يدر فى خلدى تلك الرؤية الفلسفية لنقد الدكتور طه حسين، عندما تحدث عن العمدة الذى تدور الأحداث حوله، والذى انتهى فى آخر القصة إلى أن يترك منصبه، ويهجر القرية التى كان يدير أمرها متصلاً أو موقوتاً، ولكن هذا العمدة كما يقول عميد الأدب لم يهرب من الأيام، وإنما هرب من منصبه، وهرب من القرية التى لم يحسن القيام عليها.. ثم استشهد عميد الأدب ببيت لأبى العلاء المعرى الذى أنبأنا ـ كما يقول.. بألا مهرب من الزمان للكائن الحى ما دام حياً، وذلك فى بيته الرائع الخالد:

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ما استطاع الخروج من الدهر

كان هذا المقال العميق للدكتور طه حسين . . دافعاً لى كما قلت لقراءة هذه الرواية ، لهذا الأديب الكبير الذى أشاد بأول أعماله الروائية الدكتور طه حسين .

وأخذت فى قراءة هذه الرواية . . وقد أعجبنى مضمون القصة ، وأعجبنى ما فيه من رؤى للكاتب ، وكيف استطاع أن يصور بعمق أبطال القصة ، ومجرى الأحداث بها . . ويرسم المناخ الذى يجعلنا نعيش مع الأحداث والأبطال ، ونحن فى أشد الشوق لمعرفة نهاية هذه الأحداث التى تجرى فى قرية (السلام) .

نتوقف فى هذه الرواية عند عمدة القرية الذى يحرص كل الحرص على الصلاة ، وأداء الفرائض ، وفى نفس الوقت لا يشعر بأى وخز للضمير عندما يتقبل الرشوة .

كما يحدثنا عن ابنة العمدة (درية) وجمالها الباهر وعن آماله أن تجد أو يجد لها الزوج الجدير بها .

ومن خلال سرده للوقائع . . نتوقف عند شخصية (كمال) الذى لديه كراهية شديدة لمن يملكون الثراء فهو بائس ويشعر أنه أذكى من هؤلاء الذين يمتلكون المال ، وهو يحب درية ولكنه يشعر أن الفوارق الطبقية الشاسعة تحول بينه وبين تحقيق أحلام نفسه .

كما يصور المؤلف شخصية العمدة تصويراً بالغ الدقة ، وهو يصور كيف تسول له نفسه أخذ الرشوة بحجة أنه ما يأخذها إلا ليعطيها للمأمور ليرفع عنهم بطشه ، كما أنه وإنْ كان يأخذ بعض

هذه الرشوة التى يجمعها من الناس بحجة إعطائها للمأمور، لا ينسى نصيبه منها!!

وسرعان ما تكشف أحداث القصة أن (كمال) الذى يدّعى الفقر والخوف من الأغنياء، هو نفسه زعيم عصابة تؤرق الناس، وتسلبهم الأموال التى يمتلكونها، إلا أنه لا يأخذ كل هذه الأموال لنفسه أو لأفراد عصابته، بل يعطى جزءاً منها للفقراء.

وعندما يأبى أحد أبناء القرية أن يذعن لأوامر العصابة، وأن يعطى (الأتاوة) لهذا المجرم يكون مصيره القتل.

وتتوالى الأحداث، ويخطف (كمال) ابنة العمدة التى يحبها حتى يرضخ العمدة لمطالبه، ولا يكشف أمر العصابة التى أرقت الناس فى صباحهم ومسائهم.

ويضطر العمدة إلى أن يستأجر أحد الأشرار لرد ابنته، وكان هذا الشرير تربطه بأفراد تلك العصابة خيوط.. ويقرر هذا الرجل التخلص من العصابة، وكذلك تقرر العصابة التخلص منه، إلى أن تدور الدائرة عليهم، وينتهى أمرهم، ويعود السلام إلى قرية السلام.

وتمضى أحداث القصة بأن تتزوج (درية) ابنة العمدة من ابن صديق للعمدة، ويتنازل له عن (العمودية).. ليهرب هو إلى القاهرة.. أو يهرب من الأيام.. التى عاشها تحت وطأة الإرهاب.

وقد عاب الدكتور طه حسين على الكاتب ما أورده فى قصته من

أن بطل هذه القصة كان يأخذ من الأغنياء ليعطى للفقراء فقد انتهى عصر الصعاليك.. لأننا كما يقول الدكتور طه حسين لا نعيش فى البادية، وإنما نعيش فى الحاضرة، ونعيش فى القرن الرابع عشر للهجرة، وما ينبغى لعصر الصعاليك أن يعود وهو لم يعد والحمد لله.

ويقول الدكتور طه حسين فى نهاية نقده لهذه الرواية:

«ولا يغضب الكاتب فقد كنت أحب له أن يجد صيغة أخرى غير الأخذ من الأغنياء والرد على الفقراء، لأن هذه الصيغة مكانها الملحوظ فى فرض الزكاة وتحبيب الصدقة إلى الناس.

وأنا بعد هذا معجب بمنهج الكاتب فى قصته ومذهبه فى هذه الكتابة باللغة الفصيحة النقية التى لا تشق على قارىء مهما يكن حظه من الثقافة، وهى لا تنأى مع ذلك عن اللغة التى تليق بالأدباء، ولا تنحط بهم إلى الإسفاف والابتذال.

وأنا واثق أن كاتبنا الشاب قد بدأ طريقاً طويلاً أصابه شىء كثير من النجاح فى أولها وما أشك فى أن حظه من النجاح والتوفيق سيزداد ويعظم كلما خطا إلى الأمام».

واعتراض الدكتور طه حسين على أن يأخذ بطل (هارب من الأيام) من الأغنياء ليعطى للفقراء، وإن كانت غريبة بالفعل عن واقعنا. وأنه ربما يكون قد استقى ذلك من رواية (روبين هود) الذى كان يأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء.. أو من الصعاليك الذين

عــرفناهم فى الأدب الجـاهلى.. أو ربما لا يكون لا هذا ولا ذاك، ولكن مجرد تعاطف من المؤلف مع حياة الفقراء الذين يستحقون العطف، وأن من حقهم أن يعيشوا كما يعيش كل الناس.. وأن ينعموا ببعض ما فى الحياة كما ينعم الأغنياء، وأن يكون لهم كما يكون لغيرهم الحق فى التمتع بطيبات الحياة.. وهذا يدل على أن مؤلف هذه الرواية يملك نفساً طيبة وإن كنا لا نقر أن ترد للفقراء بعض حقوقهم على الأغنياء عن طريق الترويع والإرهاب.. وأكل مال الناس بالباطل!

ونمضى مع هذه الرواية، وما تركت من صدى عند كبار كُتَّاب القصة عندما ظهرت.. وكيف كان رد الفعل إزاءها..

ها هو الكاتب والروائى الكبير محمود تيمور.. يتوقف عند مشهد من مشاهد هذه الرواية، والتى يستدل منها على مدى قدرة المؤلف على رسم الشخصيات ومجرى الأحداث من خلال رسم صورة تنبض بالحياة، ثم يعلق على هذه الرواية، ويدلى بشهادته عن مؤلفها الأستاذ ثروت أباظة.. وكيف استطاع أن يسبر أغوار النفس البشرية.

يقول الأستاذ محمود تيمور بعد أن يحدثنا عن ثقافة المؤلف العربية والأجنبية، ويشيد بأسلوبه، وكيف أن هذه الرواية تتناول مشكلة الفقر وآثاره المدمرة فى المجتمع، فالفقر يطل برأسه فى أثناء القصة، موصوماً بأنه هو الذى ينفض على النفوس صبغة الحقد،

وهو الذى يسوق الخطأ إلى مهوى الجريمة على اختلاف أسمائها، وهو الذى يخدع العقول فيجعلها تصف الشر بوصف الخير، وترى فى الظلم وجه العدل.. والقصة إنما ترسم مشكلة الفقر رسماً غير مباشر، وتعالجها على نحو غير مكشوف. ولذلك نستطيع أن نلمح فى هذا المنحى مسحة من الأدب الهادف على مستوى لا ينفر منه الذوق الفنى الرهيف.

ويقول الأستاذ تيمور بعد أن يختار مشهداً من الرواية تعطى صورة للقارىء عن موهبة المؤلف..

فى القصة أبطال كُثْر، ولكن بطولة القصة فيما أرى هى لذلك التصوير القوى لكل تلك النماذج من الشخصيات ففى هذا التصوير تنجلى دقة الملاحظة، وبراعة الالتقاط، ولطف السخرية. وجاذبية التعبير.

إنه فى مشهد قصير، وحوار طبيعي، يصور لنا دقائق من شخصية عمدة القرية، أو عمدة أبطال القصة، يقول ثروت:

تحرك الشيخ زيدان أبو راجح عمدة قرية السلام، ونزل عن سريره لينادى الخادمة:

- يا فاطمة.

وسرعان ما رجع النداء بصوت الخادمة.

- نعم يا سيدى.

وصاح الشيخ فى تظاهر بالغضب، يصحبه هدوء مستريح:

- يا بنت هاتى ماء الوضوء.. الفجر سيفوتنى.

وفى هذه المرة رجع النداء بالخادمة نفسها تحمل إبريقاً وطستاً، وأخذ العمدة يتوضأ، والخادمة تصب الماء، ولكن العمدة لم يطق أن يتوضأ فقط وإنما هو على عادته - يسأل الخادمة عن أفراد البيت فرداً فرداً، فتختلط ألفاظ الوضوء بألفاظ الأسئلة، فهو يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم، نويت الوضوء.. أين ستك؟

فتجيبه الخادمة وهى تصب الماء:

- نزلت عند الفرن.

- اللهم اجعلنى أمسك كتابى بيمينى.. وأين ستك درية؟

- تعد لك الفطور.

- اللهم ولا تجعلنى من أهل اليسار، وماذا عندكم اليوم من فطور؟

- عندنا فول وقشدة وعسل.

- اللهم ثبت قدمى اليمنى على الصراط المستقيم، الحمد لله ألم يحضر صالح أبو سعد الله فراخاً؟ أينسى دَيْنه؟

- هل اقترض منك فراخاً يا سيدى؟

- يا مغفلة.. لقد حكمت له فى قضية أمس، فأقسم أن يحضر لى فراخاً اليوم فجراً.. الفجر سيفوتنى.. الله أكبر.. الله أكبر.. أصلى الصبح ركعتين فرضاً حاضراً لله العلى العظيم.. الله أكبر»

كانت هذه الصفحة التصويرية فاتحة طيبة للقصة، وبراعة استهلال لأحداثها ومشاهدها، وإن صفحات هذه القصة على كثرتها لتفتح للقارىء عن استهلالات بارعة متتابعة.

لقد طارد الأستاذ ثروت أباظة ذلك (الهارب من الأيام) حتى أتى به إلينا في هذا الكتاب قصة فنية ممتازة عقد بناصيتها فوز عظيم، وإننا لنرجو أن تتواصل مطارداته للهاربين من الأيام، وأن تتواصل كذلك ضيافته للمقبلين على أيامهم حتى نظفر منه بأمثال تلك الطرفة الفنية الممتازة التي أمتع بها أدبنا القصصي الحديث».

قرأنا شهادة عميد الأدب العربي عن هذه القصة وعن موهبة المؤلف.

كما قرأنا رأي أحد كبار كُتَّاب القصة المصرية والعربية الأستاذ محمود تيمور وإشادته بهذا العمل.

وكل من قرأ هذا العمل الأدبي، اقتنع بأنه كاتب روائي موهوب.. يملك القدرة على التعبير الجميل، ويملك موهبة القصِّ، وأهم من كل ذلك يملك الأدوات الفنية التي تجعل من إبداعه عملاً متميزاً.

.. وباختصار فقد كانت (هارب من الأيام) شهادة ميلاد لروائي كبير، سوف يحتل مكانة مرموقة بين كبار كتاب القصة. بل إن الكاتب وضعه النقاد في الصف الأول من كُتَّاب هذا الفن القصصي. بما له من موهبة.

.. وهذه الموهبة لم تأت من فراغ.. بل بجانب موهبته الفطرية، استطاع الكاتب أن ينمى هذه الموهبة بالقراءة والاطلاع على التراث العربى، وعلى الأدب الغربى، فكانت له هذه الخلفية الثقافية العريضة التى أعانته على أن يكون له خطه المميز.. فلم يقلد أحداً.. ولا سار فى درب أحد ولا خرج من معطف أحد.. بل إنه استطاع أن يشق لنفسه فى مجرى الرواية العربية خطاً متميزاً..

وهذا ما سوف نشاهده فى مختلف رواياته وقصصه فيما بعد.. والتى يتضح من خلالها أن كاتبنا لا يجمد على موضع معين.. ولا يتوقف عند بيئة معينة بل إنه يطور نفسه على الدوام.. ويكتب بما تمليه عليه الأحداث، وتطور الحياة التى عاشها وعايشها، فلم يكن متفرجاً على هذه الأحداث، بل كان راصداً لها، محللاً لها بأسلوب فنى رشيق بعيد عن الرتابة.. وبعيد عن الخطابة.. وبعيد عن المباشرة..

فجاءت كتاباته تعبيراً عن أديب لا يعيش فى (البرج العاجى).. ولا يعيش بعيداً عن الأحداث.. إنما يرصدها.. ويعبر عنها بأسلوب رشيق شجاع.. لا يخشى أن يقول ما يعتقد أنه الحق، وهو يصور الأحداث، ويرسم الشخصيات، ويتناول الأبطال، فإذا بنا أمام لوحات فنية، تعطى صورة للواقع، دون أن تكون هذه الصورة مجرد صورة فوتوغرافية لهذا الواقع.. لأن صورة الواقع الفوتوغرافية لا تمت إلى الأدب بصلة.

والمباشرة تخل بالصورة الأدبية وتبعدها عن مجال الإبداع.

إنما نرى الكاتب وهو يصور الأحداث يصورها فى قالب فنى مستنير، مما يجعل لأعماله قيمة، ومما يخلد هذه الأعمال، بما فيها من مقومات الإبداع الفنى، الذى يأخذ القارىء برفق إلى ما يريد أن يتحدث عنه المؤلف.. ويؤدى (الرسالة) التى يريد أن تصل إليه.. بلا خطابة.. ولا تطويل ممل، بل إننا سوف نلاحظ فى كل مؤلفاته الروائية القدرة على تكثيف الأحداث، والقدرة على رسم الشخصيات، والقدرة على الإيحاء بمغزى الرسالة التى يريد أن يوصلها للقارىء.. دون أن يلبس ثوب الواعظ، ودون أن يتخذ لنفسه مقعد الناصح الأمين..!

لا ينسى أبداً ثروت أباظة أنه أديب فنان.. وأن مهمة الأدب كما يقول تولستوى، هى أن يحدث الناس عن الناس.. ولكن حديث الناس عن الناس من خلال صورة فنية راقية.. ومن خلال سرد مستنير.. ومن خلال رؤية الفنان الذى يمزج الحدث بما يعترى النفس من ردود فعل إزاء ما يرى..

ومن هنا جاءت أعماله الفنية كما قلنا أعمالاً متميزة..

ومن هنا أيضاً أخذ الكاتب وضعه فى الصف الأول من كُتَّاب الرواية.

والذين هاجموا الكاتب من خلال مواقفه السياسية ظلموه؛ لأن

العمل الفنى يجب أن ينقد من خلال وجهة النظر الفنية، وليس من خلال المواقف الشخصية له، أو عليه!

قد تختلف مع فلان من الأدباء أو غيره من الناحية السياسية أو من ناحية الرؤية إلى الحياة.. هذا الخلاف لا علاقة له بالنقد من قريب أو بعيد، لأن الأدب يجب أن ينقد من خلال رؤية نقدية.. لا من خلال رؤية مذهبية.

وهذه آفة من آفات حياتنا النقدية، أن نهاجم أو نمدح أديباً لانتماءاته المذهبية أو السياسية.. علماً بأن هذه المذاهب والنظريات قد تندثر مع الأيام.. ويبقى العمل الفنى الذى سوف يُنظر إليه من خلال قيمته الأدبية، لا من خلال انتماءات الكاتب.

الذين مدحوا فلاناً أو غيره لأنه كان ينتمى إلى الماركسية ماذا نقول عنه عندما سقطت الماركسية، وانتهى الاتحاد السوفيتى، وأصبح مجرد ذكرى فى ضمير التاريخ..!

إن ثروت أباظة الأديب يجب أن يُقيَّم من خلال أدبه، ومن خلال هذا الأدب سوف نرى أنفسنا أمام أديب كبير، لا ينكر فنه إلا جاحد، أو جاهل بمعنى الإبداع..

قصر على النيل

الذى عاش فى الريف وعاش فى المدينة يعرف كم كان الأستاذ ثروت أباظة خير من كتب عن الريف بعاداته وتقاليده وقيمه، رغم أنه ولد فى القاهرة، إلا أنه عايش الريف بعد ذلك، وشرب تقاليده وعاداته وبحسه المرهف درس هذه البيئة دراسة واعية أهلته أن يكتب عن الريف بأصالة وصدق، كما استطاع أن يعبر أيضاً عن المدينة ومن يعيش فيها بأصالة وصدق.

فطموحات أهل القرية تختلف عن طموحات أهل المدينة.. أهل القرية مُنتهى أملهم أن يملكوا الأرض لتكون لهم العزوة والسلطان، فإذا انتقل أحدهم إلى المدينة بعد التعلم تكون له طموحات أخرى مثل وصول إلى الوظيفة العالية التى تكفل له واقعاً اجتماعياً متميزاً.

وقد يلتقى ساكن القرية وساكن المدينة فى الطموحات الشخصية عندما تتجه آمال كل منهم إلى مقاعد مجلس النواب أو الشيوخ قبل الثورة أو مجلس الشعب والشورى الآن.

ولأن الكاتب عايش أهل الريف رغم أن ميلاده كان فى القاهرة.. بحكم تردده على قريته بريف الشرقية، فقد رسم فى رواية (قصر على النيل) شخصيات أبطالها باقتدار وصوّر سلوكياتهم وكأنه عالم نفسى دارس لخبايا النفوس، والخفايا التى تحرك الناس وتدفعهم إلى خوض غمار الحياة.

البعض تدفعه أنانيته وحبه للذات، ومحاولة الوصول إلى الثراء بسهولة ويُسْر دون أن يبذل جهداً يذكر عن طريق الزواج من ابنة عمه الثرى (أحمد باشا) الذى يعيش فى قصر على النيل وهو سليمان الذى يعمل مهندساً فى وزارة الأشغال.

على عكس ابن عمه (وصفى) الذى يسعى إلى المثل العليا ويحرص على رفعة وطنه.

ونرى وصفى يحب ابنة عمه ولكنه يرى أن ما يعيبها هى تلك الحرية التى تتمتع بها على عكس ابن عمه سليمان الذى يسعى إليها لا لشىء إلا لكى يحظى بما يملكه أبوها من ثروة عريضة، وأنها ستكون الوسيلة إلى هذه الثروة!

والفتاة تعرف أن سليمان يريد أن يخطبها لما يملكه أبوها من ثروة، وتعرف عنه أن أخلاقه ليست فوق مستوى الشبهات، بعكس سليمان الذى أحبته عندما رأت فيه ما يمثله من قيم وما يمثله من مثل عليا وأنه يحبها بالفعل وليس من أجل ثروتها.

ولكن سليمان يخطب ابنة أحد الأثرياء مما يجعل سهير تقبل أن تُخطب لسليمان، لا لأنه تحبه، ولكن إرضاءاً لكبريائها الجريح.

والقصة على حد تعبير الدكتور طه حسين لا تصور أمر هذه الفتاة وأمر الشابين اللذين يفكران فيها فحسب، بل هى لا تصور جيل الفتاة، وجيل هذين الشابين فحسب، وإنما تمضى إلى أبعد حد من هذا، تصحب الشيوخ حتى يفارقوا هذه الدنيا، وتصحب هؤلاء

الشباب حتى تتقدم بهم الحياة فينجبون الأبناء، ثم تصحب هؤلاء الأبناء فى طفولتهم حتى يدرجوا فى صباهم حتى يدخلوا طور الشباب، وتصحبهم بعد ذلك فى شبابهم حتى يشقى بهم الآباء والأمهات، ويقول عنها عميد الأدب العربى أيضاً:

«وأكاد أعتقد أن هذه القصة دراسة اجتماعية لجيلين من أجيال المصريين. جيل كان فى طور الشباب حين بدأت مصر حياتها الدستورية، وحين كان لها برلمان.

وجيل آخر بلغ طور الشباب فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وجعل يخضع لهذه الظواهر الاجتماعية التى جعلت تلم بمصر منذ أن انقضت تلك الحرب، وتثير فيها حركات اجتماعية معينة يندفع معها الشباب ويشقى آباؤهم وأمهاتهم بعواقب اندفاعهم هذا.

ونحن نرى شباباً مصريين فى تلك الأيام وقد تأثروا بحركة دينية معينة، واندفعوا فيها حتى أسرفوا على أنفسهم وأسرهم، بل أسرفوا على وطنهم نفسه. ونرى شباباً مصريين آخرين قد اندفعوا مع حركة اجتماعية معينة حتى أسرفوا على أنفسهم وعلى أسرهم وكانوا يسرفون على وطنهم أيضاً».

ويستعرض طه حسين أحداث تلك الرواية، وكيف أسرف الإخوان المسلمون والشيوعيون على أنفسهم، وسلوكياتهم التى دفعت بهم إلى غياهب السجون.

إن الرواية التى تحدثنا عن ابن كاتب الدائرة الذى تعلم فى

الجامعة وسلك فى جماعة الإخوان المسلمين ودخوله السجن، ثم إيثاره السلامة بعد ذلك عندما وجد الوظيفة التى تضمن له الاستقرار، وبالتالى يخرج من الإخوان، ويعيش حياته بعيداً عن القلق والتوتر وعدم الاستقرار.

كما يصور لنا المؤلف ابن سليمان أحمد الذى يريد البحث عن دور فيدخل الشيوعية، وكيف أحبت هناء واحداً من هؤلاء الشيوعيين الذى عاملها معاملة قاسية، لأنه لا يريدها لذاتها ولكن يريدها لمالها وثروتها، ولم تستطع أن تتخلص منه إلا بعد أن أعطته أمها ما يروى ظمأه إلى المال.

وهكذا أفسدت الشيوعية حياة هذه الأسرة وجعلتها تعيش القلق والتوتر وعدم الاستقرار.

والقصة ممتعة غاية الإمتاع.. وهى تصور لنا فترة من فترات الحياة المصرية، وما فيها من أحداث وما جرى فيها من خطوب، من خلال تصوير حياة جيلين.. شاهدت مصر فيها قيام بعض الأحزاب اليسارية وحزب الإخوان المسلمين، وشأن من كان ينضم لكلا الحزبين.

ومن خلال السرد الجميل، ومن خلال رسم الشخصيات بفنية وباقتدار، ومن خلال تتبع الأحداث وتطوراتها تطوف بنا هذه الرواية الجميلة، معبرة عن الواقع الاجتماعى والسياسى بفهم ووعى، ولا تملك وأنت تنتهى من قراءة هذه القصة إلا أن تحاول

قراءتها من جديد، وعندما تقرؤها من جديد، سوف تبرز المعانى والأهداف التى يرمى المؤلف من ورائها أن ندركها ونستوعبها، فهى ليست قصة للتسلية، وليست قصة لإزجاء أوقات الفراغ ولكنها قصة تدخل بك إلى صميم الحياة المصرية فى القرية.. وفى المدينة.. وتصور الحياة السياسية بما كان فيها من إيجابيات وسلبيات بأسلوب فنى ممتع.

وقد ساعده الحوار الذكى فى رسم إطار جيد لهذه الرواية.

وربما أختلف مع الناقد غالى شكرى فى نقده لهذه الرواية، فهو يرى أن التركيز اللفظى على الحوار، يجرده من أهم سماته الفنية، وهى نمو الأحداث نمواً حياً، فى حين أن التركيز النفسى يجرده من الميكانيكية التى من شأنها أن ترصّ الكلمات فى بناء شاهق كالهرم الأكبر، والحياة فى واقعنا الإنسانى لا تتحمل هذه الآلية الصماء.

ويقول غالى شكرى أيضاً عن هذه الرواية:

«وأسارع فأنفى عن الواقعية فى الفن أن ينقل الأديب حياتنا صوراً طبق الأصل، وإنما يتأثر بجزئيات الواقع، وتتفاعل هذه مع حصيلته الثقافية، ومن ثم يعود فيؤثر فى الواقع بشكل كلى لا يقبل التجزئة.

والحوار بين الناس هو جزء هام فى حياتهم، ولا يمكن تشكيل هذا الجزء فى مخيلة الفنان دون العودة إلى الواقع الحى، والواقع

الحى لا يقبل إضراباً لغوياً من شأنه أن يفسد التركيز الفنى للحوار. والأستاذ ثروت أباظة يمسك بناصية اللغة العربية دون عناء، ولكنه تورط فى (تعريف) اللغة الشعبية المحلية، فهو يجيد تارة حين تقول أم وصفى لابنها:

أما إنك بارد، ويقول وصفى (ص٢٦): حسناً نعمل تجربة. الذى يتكلم أولاً يدفع للآخر خمسة جنيهات، وتقول الأم مرة أخرى: آه يا لئيم هات الفلوس التى أخذتها.

هذه التعبيرات جميعها هى تركيبات مصرية فى رداء عربى، وإذا كانت اللغة هى وسيلة وأداة أولاً وأخيراً، فما هو عذر الفنان إذا كانت لديه أداة أقوى تعبيراً عن مشاعره، وأكثر صدقاً فى نقل خلجاته إلينا. ثم يذهب فيختبر أداة أخرى - نقدسها تماماً - ولكننا نعترض على استخدامها فى غير مكانها الصحيح.

ولو لم يُعرِّب المؤلف التعبيرات المصرية، وتركها فى قالبها الأصيل، لجاءت أكثر صدقاً فى تأدية وظيفتها، وأقوى تعبيراً عن مهمتها. وفى أحيان كثيرة امتنع التعبير المصرى على التعريب، فاشتمل السياق على اضطراب لغوى، ساعد على اهتزاز الصور أو عدم وضوحها».

وأنا لست مع الناقد الأستاذ غالى شكرى فى رؤياه تلك.

صحيح أن الفن لم يكن فى يوم من الأيام تصويراً فوتوغرافياً للواقع، ولكنه تصوير للواقع بصورة فنية، وهذا ما فعله الأستاذ

ثروت أباظة في رواياته.. فالحوار عنده يفضي إلى تطوير الأحداث، ورسم إطارات للانتقال بالأفكار في مجراها الصحيح، واستخدامه الفصحى في الحوار لا يعيب رواياته، التي يمكن أن تُقرأ على مستوى العالم العربي بينما استخدام الحوار الدارج قد لا يُفهم خارج مصر..

كما أنه عندما يستخدم بعض الألفاظ العامية.. فإنه يستخدمها في سياقها السليم عندما تستدعي الحاجة ذلك.

وهو عندما يستخدم الفصحى لا يشكل اضطراباً فنياً، لأنه يستخدم الألفاظ في مكانها وسياقها ولا يعيب روايات الأستاذ ثروت أنه متمكن من اللغة العربية، فتمكُّنه يُحسب له لا عليه!

مهما يكن من شيء.. فإن هذه الرواية من الروايات الممتازة لكاتبنا، والتي صور فيها الحياة المصرية في فترة تاريخية مرت بمصرنا العزيزة، وما سادها من قيم فكرية أو ما مر عليها من تطورات من خلال رؤيته للتغيرات التي حدثت من خلال جيلين.

شيء من الخوف

لعل رواية (شيء من الخوف) من أشهر روايات الأستاذ ثروت أباظة.. لأنها علقت فى أذهان الناس عندما مُثِّلت على الشاشة البيضاء، بالضبط كما اشتهرت (هارب من الأيام) لأنها مُثِّلت على الشاشة الصغيرة.

ورواية (شيء من الخوف) من أهم روايات الكاتب بالفعل، لأنها تحدثت عن (أهمية الشرعية).. فالشرعية هى التى تضفى على الأشياء قوتها.. ومشروعيتها وتقبُّل الناس لها.

وعدم الشرعية لا يتقبلها الناس على أى مستوى من المستويات، ومهما بلغت من قوة السلطة.. أو القوة.. أو الطغيان.. لا قيمة لها ما لم تستند على الشرعية.

(فعتريس) رغم طغيانه وقسوته وجبروته لم يستطع أن يجعل من زواجه زواجاً شرعياً، طالما انتفت الشرعية عندما لم (توكّل) فؤادة والدها فى الزواج منه، فأصبح هذا الزواج باطلاً.

.. لقد استطاع ثروت أباظة أن يجسد مبدأ الشرعية فى قالب روائى بالغ الجمال.. ومن خلال سرد فنى ممتع.

والرواية وإن كان محورها يدور حول (الشرعية).. إلا أنه تحدث عن المشاعر الإنسانية النبيلة.. وأن هذه المشاعر هى أجمل ما فى الوجود.. بل إن الحياة نفسها لا معنى لها بدون هذا الحب الذى يجعل للحياة معنى.

يحدثنا المؤلف كيف أحب حافظ فاطمة، وتزوجها، وأنجب فؤادة.

ويرسم لنا بورتريه لفؤادة:

.. كانت فؤادة سمراءسمرة ما تكاد تلحظ سوداء الشعر غزيرته ذات عينين واسعتين نفاذتين تخترقان الحياة فى فهم وذكاء، وكانت قوية الأسْر لا يستطيع من يراها مرة إلا أن يذكرها دائماً. وكانت أقرب إلى الطول منها إلى القصر. أقرب إلى النحافة منها إلى السِّمن، تحب أن تضحك، ولكن قليلاً ما كانت تجد شيئاً يُضحكها. فهى تبقى على ابتسامة حلوة تعلقها بشفتيها الرقيقتين وكأنما هى تتهيأ للضحك عند أول بارقة تلوح بما يستحق الضحك، تسربت إلى أخلاقها من حيث لا يدرى أبوها ولا يدرى أحد، عناصر من العناد والإصرار. فهى إذا أرادت شيئاً حشدت كل قواها لتناله، لم يكن أبوها كذلك، هو تعوَّد ألا يريد شيئاً، فإن أراد شيئاً، ونادراً ما يريد، فهمسة خجلة مترددة أن إفادت فبها ونعمت، وإلا عادت الهمسة تدوى فى داخله، وينتهى بها الأمر أن تذوب مع الأمنيات المستحيلة التى قد تدور فى النفس ولا تصل إلى اللسان، وأما أمها فملقية أمرها كله على الله، فما يأتى به الله خير، وما يمنعه عنها الله فهو شر، والحياة كلها تحيا جميلة لا تريد منها أكثر مما تعطى.. والحمد لله الواحد الخلاق فيما أعطى وفيما يمنع. من أين تسرب العناد إلى نفس فؤادة.. من أين؟

ونمضى مع أحداث الرواية :

كان لمثل فؤادة أن تحب . . وأحبت . .

أحبت طلعت .

وكانت تعتبر الحب هو الزواج الحقيقى وأن ورقة المأذون إنما جُعلت لإعلان هذا الحب .

ويصور المؤلف المشاعر التى انتابت فؤادة . . هذه المشاعر النبيلة بقوله :

كان الحب عندها هو أنغام الحياة جميعاً . فإن سمعت موسيقى فهى رسول من وادى الحب الظليل وإن قرأت شعراً فمنبته فى رأيها أفناء الحب الوارفة . وإن رأت يداً كريمة تمتد لفقير بائس أو محتاج فى ضنك ، فاليد ممتدة أولاً وقبل كل شىء من منابع الحب الصافية الخالدة فى أعماق الإنسانية الحب هو جمال الحياة . هو كل معنى كريم فى صلات الناس ، وحين يتلاشى الحب أو يهن بين القلوب فالحياة إلى شر وعذاب وألم . فالجريمة لم تصبح جريمة إلا لأن صاحبها لم يدر ما الحب . فلو درى الحب ما أجرم ، والشرور كلها تنضح عن آنية البغضاء أو الحقد أو الطمع خلت من الحب . والحب هو كل حياة جميلة فى الحياة . .

ويرسم لنا كيف كانت فؤادة تكره (عتريس) وهى تحب أباها ، ولكنها لا تُعجب به حين يخاف من عتريس .

ويرسم المؤلف فى روايته لوحة أخرى ، وهو يصور لنا شخصية

(الشـيخ إبراهيم) .. أحـد أفـراد القـرية الذى لا يعـرف إلا الحق والتسامح، من خلال تقواه.

ويرسم لنا الكاتب حـدثاً يبين كم كـان (الشـيخ إبراهيم) شخصية راقية المشاعر، وصورة الشيخ إبراهيم هذه ربما تكون قد مرت بالذين يعيشون فى القرية، ويعرفون تقاليدها، وأن أهم ما يميز الناس فى الريف هو أن يتصف بأنه يسمو عن الصغائر.

.. يروى لنا المؤلف أن جاره فى الحقل أراد أن يروى حقله قبل حقل الشيخ، رغم أن الدور ليس دوره، ولكنه تمادى فى رغبته، وصمم على أن يروى أرضه قبل أرض الشيخ إبراهيم، ويوشك أولاد الشيخ إبراهيم أن يدخلوا فى معركة معه، إلا أن الشيخ إبراهيم يحول بين أولاده وبين جاره، ويأخذ ابنيه ويعود بهما إلى المنزل، تاركاً لجاره أن يفعل ما يشاء.

ويشعر الجار (على) .. (بالعيبة) .. وأنه أساء للشيخ إبراهيم بلا مبرر، فيروى أرض الشيخ قبل أن يروى أرضه.

يختم الكاتب هذا الفصل الجميل .. عندما يذهب الشيخ إبراهيم وأولاده إلى الحقل، ويرون ما فعل الجار، يقول الشيخ إبراهيم:

– ماذا يا على؟

ويأتى (على) مسرعاً ويمسك بيد الشيخ إبراهيم.

– سامحنى يا عم الشيخ إبراهيم.

- لا عليك يا بنى.

- خجلت منك بعد أن انصرفت فَرُحْت أروى الغيط وحدى لعلى أرضيك وأرضى نفسى.

ويلتفت الشيخ إبراهيم إلى ولديه:

- انزل يا محمود أنت وطه مع أخيكما وارويا معه أرضنا حتى إذا فرغتم فارويا معه أرضه.

ويتقدم الأخوان من (على) وما يلبثان أن يعانقاه ثم يأخذ ثلاثتهم سمتهم إلى جدول الماء.

وينصرف الشيخ إبراهيم وفى رفقته عبدالغنى وعبدالباقى صامتين.

ويرسم لنا صورة (عتريس).. الذى أحب فؤادة، ويريدها بنفس الطريقة التى ينهب بها أموال الناس. إنه كان يظن أن ما يريده، فهو لا بد أن يحصل عليه.

ولكى يعطى صورة (لعتريس) وتكوينه، والعصابة التى تلتف حوله، والتى تنهب أموال العباد.. يرسم لنا فى قصته هذه اللوحة التى تعطى صورة عن هذا الذى ملأ الدنيا رعباً وخوفاً.

«عجيب أن تكسر المرآة فتصبح على هذه الصورة.. دائرة فى الوسط تتشعب منها الشدوخ فى اتجاهات شتى، فإذا هى مرايا شتى، وإذا أنا فيها شتى صور وشتى آدميين.. أعرفهم جميعاً ولا أعرف أحداً منهم.. أنا هم كلهم، ولست منهم أجمعين فى شىء.. هذا..

هنا فى هذا الجانب الأيمن.. البعيد هذا عتريس الطفل.. ها هو ذا يضحك فى براءة ساذجة.. ويحب أن يضحك ما استطاع إلى ذلك من سبيل.. ويجلس إلى الشيخ فى الدرس، ويحب أن يسمع القرآن ولا يحب أن يحفظه.. صعب الحفظ.. وهو بنفسه عتريس الذى كان يمر بجامع القرية فيسخر ويضحك ويجرى خائفاً، فلا يعدو الخوف على هذه الابتسامة الساذجة المنشرحة فتظل على شفتيه..

لم تقض الأيام على عتريس هذا الذى يحب الضحك الساذج. ها هو ذا فى المرآة اليمنى.. هناك فى الجانب البعيد، إنى أعرفه ولا أكاد أعرفه.. إنه أنا.. وأين منه أنا.. إلى جانبه ذلك الفتى الذى كان يخرج مع جده فى سهرات الليل المحفوفة بالمخاطر.. وكان يخاف ولكن جده ما زال به حتى أمات الخوف فى نفسه.. أصبح لا يخاف.. ألا أخاف.. لا يبدو منى الخوف، ولكن ألا أخاف.. المهم ألا يبدو منى الخوف.. وأصبحت أُخرج على رأس الرجال ويظل جدى فى البيت وأصبحت ذلك العتريس.. هل أنا كما يصفون، أنا هنا فى هذه المرآة ماذا أبدو ـ هل أعرف هذا الذى يبدو لى أم أنا لا أعرفه.

وأما هذا الذى يليه فى الصورة فيخيل إلىَّ أنى أعرفه.. أو أنا أحب أن أعرفه.. ذلك الشاب الذى يحب الصوت الجميل والشكل الجميل والمرح. ذلك الشاب الذى يولع بالجمال أينما يكن هذا الجمال. أحب الصوت الحلو الذى يتغنى به المغنى كأنه صلة السماء

بالأرض . . وما لى بهذه السماء . . هذا الشاب يحب السماء ويحب فؤادة . . لأن فؤادة هى الجمال . . أشبه ما تكون بعروس أرسلتها الجنة إلى الأرض لتغرى الناس أن يصلُّوا ويزكوا ويمتنعوا عن . . عن ماذا . . لا جنة لى فى السماء . . أكثير علىَّ أن تكون لى جنة فى الأرض . . هذا الفتى الذى يحب . . أنا أحبه . . أهو أنا . . لكم أحب أن أكونه . . أما ذلك الذى بجانبه . . هنا فى المرآة الوسطى . . كبرى المرايا جميعاً . . هذا الرجل أوشك أن أكون على ثقة من معرفتى به . . هذا الشاب الذى يحتفى به ولا يجعله كبيراً يعدو على وجهه ، ولا صغيراً يعدو على هيبته .

وهاتان العينان الحمراوان العميقتان الجريئتان . وهذه الجبهة الواثقة ، وهذا الفم القوى وهذا الذقن البارز وهذا الأنف الذى ينبعث إلى أمام كأنه سهم القدر . . هذا الرجل فى هذه المرآة هو أنا . . أهو حقيقة أنا . . أفضل هذا الذى إلى جانبه من الناحية الأخرى . . الذى يدمع إن سمع دعاءاً طيباً ويرف قلبه إن رأى حمامة ترف على زوجها . . أو هذا الذى يليه الذى لا يزال يُقبِّل يد والده . . من أنا فى هؤلاء جميعاً . . ومن هؤلاء جميعاً . . اجتمعوا وما اجتمعوا ، وتنافروا وما ابتعد واحد منهم عن الآخر . أهى المرآة جمعتهم وفرقتهم أم ترانى أنا جمعتهم ونفرت كلاً منهم عن الآخر . . أم أن هناك قوة أقوى من المرآة ومنى ومن الحياة هى وحدها التى تملك أن تجمع الناس وتنفر ما بين بعضهم وبعض . . أهذه القوة هى التى جعلتنى أحب فؤادة . .

لماذا يدوى اسمها دائماً فى أنحاء جسمى كأنما هو صوت من الجانب الميمون من الحياة.. أى شىء جعلنى لا أفكر إلا فى حبها.. ولماذا ألتذ شعورى بحبها ولا أتزوجها.. لماذا انتظرت حتى اليوم لم أتزوجها.. إن هى إلا إشارة.. كلمة أقولها فلا يشرق صبح آخر إلا وتكون فؤادة زوجتى.. ولكنى لسبب أجهله أحب أن أنتظر وأن أسمع اسمها مدوياً فى كيانى وفى حياتى.. ولكن إلى متى أنتظر.. من أين يأتى هذا الحب.. ولماذا يسيطر علىَّ وأحب منه هذه السيطرة. أنا الذى لا أطيق أن أسمع رأياً يخالف ما أرى.. كيف ألين لهذا الحب وأتركه يفرض علىّ فرضاً بهذه القوة وهذا الجبروت.. أىّ أنا فى هؤلاء يحب فؤادة.. هذا العاتى الذى يتصدر المرآة.. أتحبها.. ما هذا الوميض فى عينيك؟ ما له أصبح نوراً وكان ناراً.. ما لملامحك قد كستها إشعاعات من الطيبة وغشتها غلالات من الأحلام.. وأنت أيها الأنا الذى بجانبه وأنت الآخر وأنت وكل أنا فى هؤلاء.. ما هذا الحنين قد ألقى على وجوهكم جميعاً ليس واحداً فى الذى يحبها، وإنما كل أنا فىَّ يحبها ويحن إليها..

ما هذه الوجوه الجديدة التى تزحم المرآة.. وجوه أعرفها وتختلط بوجوهى فلا أدرى أين صورى بين صورهم. هذا الشيخ إسماعيل العصفورى أصبح ضمن عصابتى بعد أن طرده رجال الدين من بينهم.. شيخ هو ولكن قلبه أخضر يحب النساء والحشيش. ولم يكن ذا مال، فسرق حصير الجامع الذى كان يخطب فيه وقُبِض

عليـه وخـرج من السـجن لينضـم إلى العـصـابة.. فـمـا بقى له من الجانب الآخر من الحياة شىء..

وهذا الذى بجانبه عبدالمعطى العجل وكيل الدائرة الذى اختلس من العهدة فمر بالسجن لينضم إلىَّ.. يمسك حساباتى ولا يمسك عهدتى.. وهذا الثالث عثمان شاكر وكيل المحامى زور فى المحكمة توقيع أحد الموكلين وتسلم عنه المبلغ الذى حُكِم له به وأنفق المبلغ عنه أيضاً وخرج من السجن ليكون ضمن مجلس الشورى فى مملكتى.. مملكة مكتملة.. ينظرون إلى المرآة.. إلى صورة من ينظرون.. إلى صورهم؟ أم إلى صورى.. إنهم الفئة الممتازة فى العصابة ولكن لا صوت لهم بجانب الهمس الذى أهمس به.. صدى هم وأنا الصوت فلئن تختلط صورهم بصورى فلا غرو فما هم إلا شعاع منى وما أصواتهم إلا رنين كلامى يريدون أن يقولوا شيئاً ولكنهم يخافون صمتى كما تعوَّدوا أن يخافوا كلامى، لا يبدءون حديثاً لا أبدؤه.. لماذا يحلو لى أن ألتذ خوفهم هذا.. لماذا سكت طوال هذه الفترة.. لم يَبِنْ الضيق على وجه واحد منهم، بل لعلهم إلى السعادة أقرب.. أليسوا هم وحدهم بين أفراد العصابة جميعاً الذين أسمح لهم بالدخول إلىَّ بغير حرج.. مكانة يعتزون بها.. نعم إنهم إلى السعادة أقرب.

- هيه .. خيراً يا رجال.. أعرف ما تريدون عمله الليلة.. هل الرجال مستعدون.. على بركة الله..

يحاول (عتريس) أن يتزوج فؤادة .. ويخاف والدها ورغم أن (فؤادة) لم توكل والدها وأخبرته برفضها الزواج من عتريس، إلا أن والدها خاف من عتريس، وبالتالى أصبح الزواج باطلاً، لأن الزواج من شروطه القبول، وهى لم تقبل هذا الزواج، وأخبرت (فؤادة) عتريس أنها ليست زوجته لأن الزواج باطل .. !

وجُنَّ جنون عتريس وهو يسمع فؤادة تقول :

- إننا لسنا زوجين.

- والكتاب ؟

- باطل .

- والشهود .

- مزورون .

وعلم الشيخ إبراهيم بأمر هذا الزواج الباطل، وفى مسجد القرية أعلن الشيخ إبراهيم أن زواج عتريس من فؤادة باطل .

وحتى عندما أمر عتريس بقتل محمود ابن الشيخ إبراهيم، لم يُثْن ذلك من عزم الشيخ إبراهيم من إعلان أن الزواج باطل .. بل مضى إلى دكان عبدالملاك فاشترى إصبعاً من الطباشير ومضى إلى حائط الجامع البنى اللون الأملس، وكتب عليه فى حروف ظاهرة قوية : زواج عتريس من فؤادة باطل .. باطل .

وتجمع حوله وهو يكتب بعض نفر أخذ عددهم يتزايد وتجمع الناس حول جنازة محمود لتشييعه إلى مثواه الأخير .

ويختتم المؤلف روايته بهذه اللوحة الجميلة، والتى أراها أعمق وأدق، وأكثر واقعية من نهاية الفيلم.

حين علم عتريس بما كتبه الشيخ إبراهيم دخل إلى حجرة فؤادة ثائراً.

- أليس له آخر؟

وقبل أن تجيب أهوى على رأسها بعصاه الغليظة فانهارت فؤادة وهى تقول:

- ولكنى لا أموت.

وارتمت أمها بجانبها تنادى اسمها فى ثورة، وهَمَّ عتريس أن يبرح الغرفة، ولكنه وجد الطريق مسدوداً أمامه، كانت عيون الرجال تغلقه فلا سبيل له. ونظر إليهم مذهولاً أول الأمر، ثم حين تبين ما فى عيونهم ما لبث أن غشيته غاشية من الخوف المذعور الراجف، ولم يقل شيئاً، ولكن أحد الرجال قال فى حزم:

- فؤادة تذهب إلى بيت أبيها.

واستجمع عتريس أشلاء نفسه ليقول:

- أتجرؤ.

ولكن الصوت عاد يقول له فى حزم ثابت هادىء:

- فؤادة تذهب إلى بيت أبيها.

- سأقتلكم جميعاً.

وجاءه الصوت مرة أخرى:

- إننا نحن الذين نقتل.. فؤادة تذهب إلى بيت أبيها.

وحملت فاطمة فؤادة بين ذراعيها، وانفسح الطريق أمامها، وخرجت، ونكس عتريس رأسه فى استسلام، وحين رفع بصره لينظر الطريق الذى سارت فيه فاطمة بفؤادة، وجد الطريق أُغلقت مرة أخرى.

وأنا أرى هذه النهاية هى النهاية الطبيعية الراقية للقصة، على عكس الفيلم الذى جعل النهاية، تخلى عصابته عنه وهربهم وإغلاق الباب عليه، حتى أحرقت الجماهير الثائرة البيت وهو فيه!

والقصة كما نرى قصة رائعة:

- إنها تصور قوة الحق، وأن الحق دائماً هو المنتصر فى النهاية مهما كانت أشواك الطريق. وأن الشرعية هى أساس إقامة الحياة السليمة.

- كما نراه يصور المشاعر النبيلة للإنسان، وهذه المشاعر هى التى تجعل للحياة معنى وقيمة.

- كما يصور النفس الإنسانية عندما يشدها سلطان الخوف فيهوى بها إلى الحضيض، وسلطان الإرادة الذى يرفع الإنسان عن المهانة، ويحقق له الحياة الكريمة.

- ومن خلال هذه القصة يجسد لنا الكاتب ما يجرى فى الريف من وقائع وأحداث، وردود أفعال الناس حيال هذه الوقائع من خلال

التكوين الشخصى لكل منهم، فنرى نماذج مختلفة لأنماط من الناس.. الخيِّرين منهم والشريرين.. الأقوياء والضعفاء.. الذين يؤثرون السلامة، والذين يدافعون عن الحق حتى لو خسروا أجمل ما يملكون.

إنها قصة عالمية بلا شك..

وعندما أقول عالمية، أعنى أن ما بها من أحداث ومشاعر، وتجسيد كل ذلك من خلال أبطال الرواية.. تجعل هذه الرواية تُقرأ فى أى لغة من لغات العالم ـ لو ترجمت إليها ـ فيتلقاها الناس برحابة صدر، وينفعلون مع أحداثها، لأنها رواية تتحدث عن الإنسان فى لحظات قوته.. ولحظات ضعفه.. عندما يرتفع إلى القمة بأخلاقياته، وعندما يسقط إلى السفح بلؤم طبعه.

والإنسان هو الإنسان فى كل زمان ومكان.. ومن هنا كان قولى.. إنها رواية تتقبلها كل المجتمعات بحفاوة من يريد أن يعرف الإنسان.. كإنسان.. من حيث هو إنسان سوى، أو إنسان منحرف.

جذور فى الهواء

الإنسان يتطلع فى حياته إلى الحب الذى يفضى إلى حياة زوجية مستقرة.

والعمل المرموق الذى يفضى إلى حياة كريمة.

وإلى السعادة فى البيت والعمل.

ولكن فى كثير من الأحيان يصبو الإنسان إلى الحب، ويعيش فى دوامته، فإذا تحقق ذلك بالزواج وظن أن الحياة قد فتحت له ذراعيها، فإذا به يصدم فى هذا الحب ومن هنا تنتابه عشرات من علامات الاستفهام الحائرة والمحيرة فى نفس الوقت.

وعندما يحاول أن يغمس أحزانه فى العمل، فقد تصطدم طموحاته بالواقع، فلا يعرف على أى شاطىء سوف ينتهى به المطاف..

وبين الحيرة والأمل.

وبين الطموح والصدمة.

وبين الرغبة فى الحب والصدمة فيه أيضاً.. تتغير الرؤى للإنسان، وتنتابه الحيرة.. هل يتأقلم مع واقعه، أم يتجاوزه، أم يعترض عليه ويُغيِّر مسار حياته.

هذه هى الخواطر التى كانت فى ذهنى بعد أن انتهيت من رواية الكاتب الأستاذ ثروت أباظة (جذور فى الهواء)..

وقد كان المؤلف موفقاً كل التوفيق فى اختيار هذا العنوان،

فالجذور هى التى تتغذى من تراب الأرض، وتنبت فى تربتها أما تلك الجذور المعلقة فى الهواء، لا تلبث أن تتساقط.. أو أنها جذور معلقة بالأوهام.

بطل القصة أيمن حجاج يتطلع إلى الزواج من تحية التى يحبها.

كان والده مدرساً.

وكانت هى تسكن فى الڤيلا المجاورة.

ونال ليسانس الآداب، وهو يتطلع إلى عالم الأدب والصحافة.

ولكن هل يرضى والدها الثرى (نصر بك الحلوانى) بهذا الزواج؟

أسئلة طافت بذهن الفتى، ولكن تحية طمأنته أنها سوف تتزوجه.. وتزوجته.

وإن كان لا يعرف كيف أقنعت والدها بهذا الزواج وهو رئيس مجلس إدارة شركة الدلتا للأقطان!

لقد أهدت له زوجته سيارة يوم الزواج..

وأفرد له أبوها جناحاً فخماً فى قصره.

وكانت زوجته هنية هانم سعيدة بأن زوج ابنتها يظهر اسمه فى الجريدة.

كما كان يعجب للمعاملة الممتازة التى يعامله بها.!

و.. يبرز شيئاً من شخصية الفتى عندما يدخل إلى أعماقه مصوراً نظرته للأمور.

. . . ولتكن أسبابه ودوافعه ما تكون فأنا الكاسب آخر الأمر ، وأنا واحد من الناس ، أعامل الناس بظاهر معاملتهم لى . فالحقيقة المتخفية فى النفوس لا يعلمها إلا خالق النفوس ، وليس لنا نحن البشر إلا ما نرى حتى يظهر ما تخفى ويبين ما تنبض به القلوب .

سعد الفتى فى حياته الزوجية وعمله فى الجريدة ، وأصبح عضواً بنادى الجزيرة .

وفى النادى تعرف على بعض الأثرياء .

وأغروه ببعض الإعلانات . . وبرر هذا الاتجاه بقوله :

« . . حين قبلت أن أعمل بالإعلانات لم أحس بالغضاضة الشديدة ، شاب فقير يعيش فى جو غنى ، ويحاول أن يحصل على المال عن طريق شريف . ولكننى حين كتبت المقال الأول عن الاتحاد الاشتراكى ، أحسست أننى عاهرة تبيع نفسها مرغمة لمن لا تحب ، ولازمنى هذا الشعور فترة ثم راح يتلاشى ، ويتهافت ويختفى حتى اختفى أو كاد . . وأصبح الأمر طبيعياً لقد تلاءمت مع الجو الذى أعيش فيه بعد أن كنت غريباً عنه . . والعجيب أن اتصالى بالاتحاد الاشتراكى جعل لى سلطاناً واسعاً ، وعاد إلىَّ بثراء يتضاءل بجانبه كل ما حصلت عليه من الإعلانات ووجدتنى فى مدى شهور قلائل جالساً أمام كاميرات التليفزيون ، وإذا أنا نجم . . »

وراود أيمن الشعور بالذنب ، ولكنه وجد التبرير له !

و . . التنازل يسوق إلى تنازل

. . لقد عمل مع والد زوجته حتى يزيد دخله . . هكذا أشعره والد زوجته .

وعندما توقفت سيارته مرة فى الإشارة فتح بابها فجأة ، ودخلت إلى جانبه حميدة دعبس ، تلك التى كان يذهب إلى بيتها قبل الزواج ليقضى وقتاً مع فتاة تختارها له . . ولكن انقطع عن ذلك بعد الزواج ، وطلبت منه حميدة أن يزورها حين يحس أنه يريد أن يذهب إليها .

وتمضى به الأيام .

ويعرف أن زوجته فى أحضان ماجد ! !

هكذا طالعه الفراش .

« . . حين فتحت الباب ، أسرعت أغلق الباب ، ثم عُدْت وفتحته ثم أغلقته ثم فتحته ، ثم ذهلت ، ثم صحوت لأجد نفسى أتراجع خطوات لألقى بالبقية الباقية من حياتى على مقعد ، ثم أنا فى عالم آخر أدريه ولا أعرفه ، أدريه ولكنى عنه فى غيبوبة . . أسمع صوتهما فى شهقات ولا أسمع مما يقولان شيئاً . . لم يكن هناك شىء يقال إلا الهمهمة ، والخزى والألم يعتصر كل شىء فىَّ . لكن لماذا ؟

للجنس ؟ إننى مرهق من الجنس .

للحب ؟

إننى مرهق من حبها .

المال ؟

المال لديها . . !

للمتعة ؟

فماذا كنت أصنع طوال الأيام الماضية حتى الأمس . الأمس فقط ؟

لماذا ؟

أنا أشهر منه . وأنا أجمل منه . وأنا أكثر شباباً منه . وأنا حبها الأول . المؤكد أننى حبها الأول . وأنا أبو أولادها . وأنا حب الطفولة والصِّبا والشباب . صنعنا أيامنا على أيدينا ، وصنعناها كما تشتهى هى أن تصنعها . إذن لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

خرجت ولماذا تتدفق مع كريات الدم فى عروقى وفى ضميرى وفى عقلى وفى كيانى .

ذهبت إلى بيت أبى والليل يقترب من الصباح ، معى المفتاح لم أخلعه عن جيبى فقد كنت أحس به الشيء النظيف الوحيد الباقى فى كيانى . كان هو وزوجتى هما اللذان يمثلان الصدق فى حياتى . والآن لم يبق إلا مفتاح بيت أبى فقط . دخلت فى حجرتى القديمة ، وأغلقت الباب ، ثم أتيت بكرسى ووضعته من خلفه وجلست عليه . لم أكن أريد الحياة أن تتسلل إلى هذه الحجرة » .

الأحداث تمضى به .

وكأنه يريد أن ينتقم من المتزوجات فذهب إلى حميدة ليطلب

امـرأة متـزوجـة ، بعـد أن أرسل ورقـة الطلاق إلى زوجتـه عن طريق البريد !

وطلبه (عمه نصر) ليعود للعمل فى الشركة دون أن يُحدِّثه عن طلاق ابنتـه . . إنه لم يتطرق إلى الطلاق كل مـا طلبـه أن يعـود إلى عمله أما طلاق ابنته فكأنه شيء لا يعنيه !

وكثرت صديقاته .

ودخلت عليـه زوجتـه ذات يوم فى مكتبـه بالشـركة وطلبت منه العودة إلى المنزل من أجل الأولاد !

- أعود معك ؟

- إلى شهاب وهديل .

- ومن أدرانى أن ماجد وحده ، لعل هناك . .

- تقصد هناك غيره .

- أم تراكِ مخلصة له ؟

- المسألة مجرد قطع ملل ، ولا تحتاج لأكثر من واحد .

- هناك قواعد للدعارة .

- قواعد للمغامرة . إن لم تغفر من أجلى فمن أجل الأولاد . على الأقل امنع تقولات الناس .

صحت . كيف أسمح لهديل أن تربيها هذه المستهترة ؟

وكيف لا أحمى سمعة شهاب أن يلوكها أصدقاؤه ! وأنا . . من

أنا؟ لأكن ما أكون ولكن وجودى على أية حال قد يجعلها تتخفى فلا تتبجح!.

ووجد ما يبرر عودته إلى المنزل.. إلى زوجته وإلى أولاده.

ومن خلال هذه الرواية، تحس أن التنازل يبدأ، فيتبعه تنازل.. إلى ما لا نهاية..!

والرواية وهى تعطى صورة لبعض النماذج التى تظهر فى المجتمع، وتجد أو تحاول أن تجد مبرراً لسلوكيات منحرفة.. دافع ملموس.. استطاع أن يجسدها الكاتب بأسلوب فنى، وفى إطار جذاب.. بلا خطابة.. وبلا مباشرة.

ومن خلالها نعرف هذه النماذج التى تعيش فى دنيا الناس، وسلوكياتهم.. ومحاولة تبرير الانحراف.

ولكن القيم هى القيم.

والمبادىء هى المبادىء.

ولا يجب التنازل ولو مرة واحدة.. فالسقوط يتبعه السقوط.. حتى ينتهى بالإنسان إلى الهاوية!!

الغفران .. واستلهام قصة يوسف عليه السلام

استلهم الكاتب الكبير الأستاذ ثروت أباظة بعض رواياته من قصص القرآن الكريم.

فقد استلهم رواية (الغفران) من قصة يوسف عليه السلام.

كما استلهم (طارق من السماء) من قصة موسى عليه السلام.

وفى رواية (خشوع) يستلهم السيرة النبوية للرسول ﷺ.

وإذا كان من الصعب تناول كل هذه الروايات، لأن ذلك يعني كتابة أكثر من كتاب، فلنتوقف عند رواية من هذه الروايات.. لنرى كيف استلهم قصة من أجمل قصص القرآن الكريم، وهى قصة يوسف عليه السلام، فى عمل معاصر.. أبطاله أناس يعيشون بيننا، وتجرى فى دمائهم ما يجرى فى دماء البشر من مطامع وأهواء.. كما أن هناك أيضاً نماذج من البشر ممن يتحلون بالصبر ومكارم الأخلاق، والصبر على نوائب الأيام.

يبدأ المؤلف كعادته فى رواياته - برسم لوحات لأحداث تتكامل لتشكل فى النهاية رواية متماسكة الأحداث، مترابطة المعانى، تفضى إلى رواية متكاملة البناء الفنى.

ملخص قصة يوسف عليه السلام.. أن يوسف كان أثيراً عند والده يعقوب عليه السلام، وأنه كان شديد الوسامة وكان ليعقوب اثنا عشر ولداً، وقد حقد عليه إخوته لحب أبيه له، وقرروا التخلص منه. وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة فى السورة التى تحمل نفس

الاسم (سورة يوسف) . . كما ذكر يوسف عليه السلام فى ٢٦ آية من القرآن الكريم .

وقرر الإخوة قَتْل يوسف . . قالوا لأبيهم :

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يوسف] وكان يعقوب يعلم ببصيرته أن إخوته يريدون الكيد له . . قال لهم :

– ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يوسف] .

قالوا له :

– ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يوسف] . وأخذوا يوسف عليه السلام ، وألقوه فى غيابة الجب ، وادعوا كذباً لأبيهم أن الذئب قد أكله عندما أخذوا يتسابقون .

ولم ينطل هذا المكر على والدهم ، ولم يقتنع بالقميص الذى لطخوه بدم كذب وادعوا أنه قميص يوسف بعد أن افترسه الذئب ، وقال لهم : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف] .

وجاءت قافلة متجهة إلى مصر تريد الماء ، وعندما أنزلت دلواً تعلق به يوسف ، وفرح أصحاب القافلة بهذا الغلام الوسيم الذى حملوه معهم إلى مصر ، حيث بيع لرئيس الشرطة واسمه

(فوطيفار) الذى فرح به وفرحت به زوجته، وأخذ يوسف يعيش مع سيده وسيدته تحت رعاية ربه.

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف].

وكلما نما يوسف عليه السلام زاد حُسْنه وجماله حتى انشغلت به امرأة العزيز، وأخذت تراوده عن نفسه ولكنه أبى، فقد رفض أن يخون سيده الذى رباه، وفى نفس الوقت كان يخشى الله، فهو ابن يعقوب عليه السلام.

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف].

ويقول المفسرون: إنه كان يرافقه ابن عمها، ولما رأت أن أمرها قد انكشف ادعت أن يوسف هو الذى حاول الاعتداء عليها، وأنكر يوسف التهمة، ويصور القرآن الكريم بإعجازه هذا الموقف بقوله:

﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ

قَميصُهُ قُدَّ من قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يوسف] .

وكان من الطبيعى أن يشيع الخبر فى المدينة ، وتهامست النسوة عما فعلت امرأة العزيز ، فما كان من امرأة العزيز إلا أن دعتهن إلى بيتها ، وأعطت لكل واحدة منهن سكيناً ، وطلبت من يوسف أن يخرج إليهن ، فبهرهن بجماله وقُلْن :

﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف] .

وكأن امرأة العزيز أرادت أن تبرر موقفها أمام النسوة ، فقالت لهن :

﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف] .

وكان أن أمر العزيز أن يدخل يوسف السجن ، حيث فسر حلماً لرئيس الخبازين ورئيس سقاة الملك ، وأن الساقى سوف يسقى ربه خمراً ، وأما الآخر فسوف يُصلب فتأكل الطير من رأسه .

ولبث يوسف عليه السلام فى السجن بضع سنين إلى أن رأى الملك فى منامه حلماً عجيباً ، فقد رأى سبع بقرات سمان يأكلن سبع بقرات عجاف كما رأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات تأكل الخضر واحتار الملك .. وأراد من يفسر له هذه الرؤيا ، وتذكَّر ساقى

الملك يوسف وقدرته على تأويل الأحلام، وجيء بيوسف وفسر الحلم بأنه سيأتى على مصر سبع سنين يعم فيها الرخاء، وسبع سنين أخرى يعم القحط وطلب أن يكون على خزائن الأرض، حتى يوفر من سنين الخير لأيام القحط، وجعله الملك على خزائن مصر، بعد أن برأته امرأة العزيز، واعترفت بأنها هى التى راودته عن نفسه.

وتمر الأيام ويأتى إخوته، ويعرفهم، ويطلب منهم أن يأتوا بأخيه معهم فى المرة القادمة، وإلا فلن يعطيهم شيئاً من الطعام الذى جاءوا من أجله لمصر، وعندما عرضوا الأمر على أبيهم خشى أن يفعلوا به ما فعلوا بيوسف، وعندما أخذوه معهم، عرَّفه يوسف بنفسه.. وعندما علموا أنه أخوهم ندموا على ما فعلوه به، وطلب منهم يوسف أن يأتوا بوالده وأهله، وأن يلقوا قميصه على والده، حتى يرتد بصيراً، .. و.. فسر حلمه عندما كان صغيراً ورأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له، وما الشمس والقمر إلا والداه، وما الأحد عشر كوكباً إلا إخوته.

ورفع يوسف عليه السلام بصره إلى السماء، حامداً ربه.

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف].

هذا ملخص قصة يوسف عليه السلام كما وردت فى القرآن

الكريم . . بما فيها من قصص معجز ، وعبرة وعظة لمن يريد أن ينشد العبرة والعظة .

فكيف استلهم هذه الأحداث كاتبنا ثروت أباظة من خلال أحداث ووقائع معاصرة .

يبدأ كاتبنا روايته بهذا المدخل .

حين الزمان غرير ، والأيام آفاق عريضة من الابتسامات ، والناس يصدرون عن طيبة خالصة ، والضمائر نقاء صاف ، والحب يختلسه المحبون فيما يحسبون أنهم بنجاة من العيون الرواصد ، بينما أمرهم علن مهموس ، وحديث دائر كلما اجتمع من الأسرة اثنان .

أحب صابر عبد المعين ابنة خاله وداد الرحماني . .

و . . تمضي أحداث الرواية

صابر قرر أن يتفرغ للأرض بعد أن نال البكلوريا ويتزوج صابر من وداد ، وينجب عبد الغني ، وبعد عام وشهرين من ابنه الثاني عبد الودود .

يعيش صابر حياته مع زوجته يظللهما الحب ، غير أن الموت يختطف زوجته ، وكاد الرجل يفقد اتزانه وقدرته على الحياة .

وفي إلهامة ربانية يصحب ابنيه إلى حج بيت الله الحرام .

وفي لبيك اللهم لبيك ارتدت إليه نفسه وعاد إلى رشده ، وكأنما أجابته أستار الكعبة أن وداد في ظلال وريقة في الملكوت الأعلى ، وتغلب حبه لها على جزعه لفقدها ، ووجد الأبناء في حضن أبيهما

أمناً بعد فزع، وطمأنينة بعد حيرة وهلع.. وأصبح صابر منذ وقوفه أمام البيت إنساناً آخر.. لقد رأى هناك أن الدنيا جميعاً ما هي إلا طريق إلى الخلود عند صاحب النفوس وخالقها وقابضها.. وهكذا عاد إلى مصر وقد امتلأت نفسه بحب العبادة والتفانى فى ذكر الله وفى الزكاة.

وتمضى الأيام.. وكان لابد لها أن تمضى.. ويقرر الزواج من (هند) ابنة خالة وداد.. لأنه شعر نحوها بعاطفة.. ولأنها بمكانة الخالة من أولاده وأنجب منها صدِّيق!

واغتاظ إخوته لزواج والدهما من هند، كما أنهما كرها أخاهما صدِّيق.. الذى كان شديد الوسامة والجمال.

وتخرَّج الولدان فى كلية الزراعة، وأحبا الأرض والزراعة، ولكنهما كانا يكرهان صدِّيق بلا مبرر إلا خوفهما من أنه سيشاركهما الميراث، كما أنه سيكون لها نصيب من هذه التركة وقدرها الثمن.

ولاحظ الأب هذه الكراهية فكان شديد الحرص على رعاية الابن، وأمر هنداً ألا تفارقه لحظة.

وعندما بلغ صدِّيق الخامسة من عمره، وذهب إلى مصيف رأس البر مع أمه وأبيه وأخويه، وكانت فرصة ليتآمر عليه أخواه، فقد قررا التخلص منه بأية وسيلة..

وفى نفس الوقت تعرف عبدالغنى وعبدالودود أن يتزوجا من فتاتين تعرفا عليهما فى المصيف.. ناهد ورنده..

«وأقام صابر لولديه فرحاً باذخاً، واستأجر لكل منهما شقة بعمارة واحدة حتى يظلا متلازمين كما تعوّدا طوال حياتهما . . وأتاح لهما فرصة أوسع فى إدارة الأرض وإن لم يترك لهما الأمر جميعه».

وخلا البيت بهند وصابر وصديق

وسمع صدّيق ما يحاول أخواه أن يفعلاه به . . والتخلص منه، ففر هارباً فصدمته عربة فى الطريق وهو يعدو هرباً، ونزل الرجل وزوجته وحملا الطفل إلى بيتهما فلم تكن إصابته تستدعى الدخول إلى المستشفى، وهرباً من استجواب الشرطة، رغم أن السيارة التى صدمته يمتلكها ضابط جيش !

ولم يُدل لهما صدّيق بأى معلومات عن أبيه وأهله وقرر الرجل والزوجة تبنِّى هذا الطفل الوسيم، ومن أحداث الرواية نعرف أن هذا الرجل الذى تبنى (صدّيق) لم يكن له فى النساء . . وأنه كان يعذب المسجونين فى السجن الذى يشرف عليه . .

عاش صدّيق فى بيت (وجدى) وزوجته زهيرة .

لم يصدق صابر أن ابنه قُتل فى حادث سيارة وكان متيقناً أنه على قيد الحياة، أو لم يستمع إلى أقوال إخوته عندما قالا إنه مات فى حادث سيارة ! وأن صاحب السيارة حمله إلى حيث لا يعرف أحد مكانه . . وإن كان متيقناً من أنه مات .

وتمضى الأيام . . ويدخل صدّيق كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .

وشعرت امرأة الضابط بأنها تميل إلى صدِّيق.. كان شديد الوسامة.. وطلبت منه ذات يوم أن يقبلها فرفض، وجرت وراءه فى محاولة منها لاستمالته ولكنه رفض، وهرب متجهاً نحو الباب فجرت وراءه ومزقت قميصه.

ودخل الزوج.. وأدرك كل شىء

ولكنه لم يتحدث

وقرر صدِّيق أن يخرج من هذا البيت، ولكن وجدى طلب منه التريث.. وانتهى الأمر بأن يدخل السجن، ويذاكر فيه.. ويبتعد عن هذه المرأة!

وحين اختفى كان من الطبيعى أن تسأل النسوة فى المدينة عن صديق.

ودعت (زهيرة) النساء إلى مأدبة، وأزاحت الستار عن صورة (صدِّيق) فبهرهن جماله.. وتصايحن.. هذا ملاك.. لم نر مثل هذا الجمال.. ليس هذا من البشر.

قالت لهن: لا تلمننى إذن وأنتن قطعتن أيديكن (عندما ارتبكت السكاكين فى أيدى النسوة وهُنَّ يقشرن التفاح)..!

ويكمل الكاتب هذه اللوحة بقوله:

.. وفى المساء اقتحمت زهيرة على وجدى غرفته، وأصابه ارتباك شديد، وراح ينتظر ماذا هى قائلة له.. ولم تقل كثيراً.

- هذا جواز سفرى.

- ما له ؟
- أريد تأشيرة للأراضى الحجازية .
- ما زال الوقت بعيداً عن الحج .
- سأقيم هناك حتى موعد الحج وأؤدى الفرض .
- من الآن إلى موعد الحج .
وفى حسم قاطع :
- نعم .
وفى خضوع حازم :
- أمرك .

وتمضى الأحداث ويتخرج صدِّيق ، وعن طريق وجدى يعين مستشاراً لوزير الزراعة . . وطال به الحنين لرؤية والده وأمه ، وكان والده يعانى من مرض فى عينيه يحول بينه وبين الرؤية ، ورفض أن يعالجهما حتى يعثر على ابنه صدِّيق .

وكان وجدى قد رأى حلماً فسّره له صدِّيق كما كان يفسر الرؤى لمن كانوا معه فى السجن .

. . تمكن صديق من مكانه الجديد فى مكتب الوزير أن يعرف كل شىء عن حالة الزراعة فى أرض أبيه . . وعرف أيضاً أن أخويه قد جعلا الزراعة كلها موالح ، واستقدم المفتش الزراعى المختص بمنطقة الأرض وعرف أن أباه هو الذى يأخذ الأموال كلها ، وأنه رفض أن

يعطى أى توكيل لأبنائه حتى بعد أن كُفَّ بصره.. وعرف من المفتش أنهم يبيعون الثمار إلى الوزارة لأنها ثمار مثالية.

ونمضى مع الأحداث.. أحداث الرواية..

يتسلم عبدالغنى خطاباً مسجلاً من الوزارة أن الوزارة لن تشترى منهم ثمار هذا العام.

ويُجَن جنونه.. فإنه سوف يخسر خسارة مادية كبيرة ويستدعى (صدِّيق) أخاه إلى مكتبه لمناقشته ويأمر أحد السعاة أن يذهب إلى بيت أبيه وأن يعطى اللفافة لمن يفتح له الباب، إنه قميص صدِّيق، وعلى أثر ذلك يعلم صابر أن ابنه على قيد الحياة، ويقرر إجراء العملية الجراحية فى عينيه، ويبصر.

ويختم الكاتب روايته بهذا الفصل الذى يضع نهاية لهذه القصة الجميلة، التى استقى المؤلف أحداثها من قصة يوسف عليه السلام.. ونخرج منها بأن من يحفر لأخيه حفرة وقع فيها، وأن الباطل لا أقدام له، وأن الحق يعلو دائماً ولا يُعْلَى عليه، وأن الصبر مفتاح الفرج، وأن الحق يعود إلى أهله مهما كانت أشواك الطريق، وأن من يحفظه الله لا يستطيع بشر إيذاءه مهما فعلوا، فقدرة الله فوق الجميع، ورحمة الله لا حدود لها.. ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله.

و.. لنقرأ ختام هذه الرواية الجميلة كنموذج لرواياته التى استقاها من القرآن الكريم.. حيث نلحظ هنا أن المؤلف له أسلوبه

الخاص وله طريقته التى أصبحت سمة من سماته حيث لا يقلد أحداً من الروائيين، وأن الشكل الفنى لرواياته أيضاً ليس مقلداً فيه أحداً من الروائيين.

ومن هنا نرى أن كاتبنا الكبير قد ترك بصمة لا تنسى للرواية المصرية بصفة عامة والرواية العربية بصفة خاصة.

و.. إليكم نهاية القصة بأسلوب الكاتب نفسه.. حتى تتضح لنا معالم الصورة.

«ذهب عبدالغنى وعبدالودود إلى مكتب صديق ولقيهما من فوره. وراح عبدالغنى يتكلم دون أى مقدمات.

- يا سعادة البك إن الثمار التى ننتجها لا مثيل لها فى القطر كله فلماذا ترفضون شراءها؟ أهذا معقول. إنها أول مزرعة فى مصر، وجميع إنتاجها يُصدَّر إلى الخارج و...

واستمر الحديث طويلاً وصدِّيق يسمع لا يتكلم حتى إذا نفدت كلمات عبدالغنى وأصبح لا يجد شيئاً يقوله التفت صديق إلى عبد الودود وقال له:

- وأنت .. ألا تقول شيئاً؟

- لا يا افندم.. قال أخى كل شىء..

- ألا زلت على حالك هو يقول وأنت تسمع وتنفذ.

وفى بهر مذهول صاح كلاهما:

- ماذا؟

وأكمل دون أن يعير ذهولهما أى التفات :

- كنت أتصور يا عبد الودود أنك مع السن ستصبح لك شخصية، ولكن للأسف أنت كما أنت لم تزدك السنون إلا ضعفاً.

ونظر عبدالغنى إلى عبدالودود وقال :

- من هذا .. أيمكن .. أيعقل .. أيتصور أحد هذا ؟

وانتفض عبدالغنى واقفاً فى حيرة من يجابه الماضى فى مكان لا يتصور أن يرى فيه أثراً منه .. وصاح :

- أهو أنت .. أصديق أنت .. أنت صديق.

ويصيح عبدالودود وكأنه صدى صوت :

- أهو صديق .. صديق أخونا .. أهو صديق؟

وفى ثبات حازم يصيح بهما صديق :

- اصمتا واسمعا .. اسمعا كلاماً ظل كالإعصار فى نفسى منذ وعيت الحياة .. كعزيف الريح كان وآن له أن ينتقل إلى اللذين أثاراه.

- ماذا ؟

- ماذا تقول ؟

وفى هدوء ثابت أطلق صدِّيق عاصفته التى لازمته سنين العمر الواعى كلها :

- لماذا أردتما قتلى ؟

وصاح كلاهما كما لو كانت رصاصة قد أصابت كلاً منهما :

- ماذا ؟

وفى هدوئه لا يزال يقول صديق :

- لقد غبت عنكما هذه السنوات وأنتما لا تعرفان أننى سمعت المؤامرة التى كنت تدبرها أنت يا عبدالغنى والتى وافقت عليها أنت يا عبدالودود ، وأنتما جالسان بمقهى الملاهى .

وصاح عبدالغنى :

- سمعت ماذا ؟ سمعت ماذا ؟

وصاح عبدالودود :

- إذن فقد سمعت .

ويكمل صديق فى ثبات :

- وجريت يومذاك مذعوراً . ولو كنت قُتلت لكنتما قاتلى وانتظرت هذه السنوات أرفض العودة حتى أكون واثقاً من نفسى وأنفى عن نفسى خوف الأخ الأصغر يريد أخواه الكبيران أن يقتلاه . وأنتما اليوم كلاكما أضعف منى . وأنا أواجهكما .

وأجهش الأخوان باكيين فقد كان البكاء هو كل ما يمكن أن يقال .

وقال صديق :

- بعض دموع ستحمل إلى نفسيكما الراحة أين هى من عذاب

طفل وفتى وشاب يعيش على الصدقة فى بيت لا يجمعه به نسب ولا تصله به قرابة ؟ . . ما بعض دموع أمام ذل السنوات والشعور بالضياع والإحساس أننى فى لحظة قد أطرد من البيت ؟ ما بعض قطرات من ماء العين وأنا الذى وجدت السجن أحب إلىَّ من الحرية، وعشت فيه لأقطع ما بينى وبين هؤلاء الناس ؟ ابكيا ما شاء لكما البكاء فقد ألقيتمانى السنين الطوال إلى عالم لا أموت فيه ولا أحيا .

وقال عبدالغنى :

- ألا نطمع فى غفران . . إن الحياة التى اختارها الله لتكون سخطه على آدم لا بد أن يكون فيها أمثالنا من الخاطئين . . وهى غير جديرة بأن تعاش إن لم يكن فيها أمثالك من الصديقين الغافرين .

- وإن غفرت لحقِّى فكيف أغفر لحق أبى ؟

- لقد عاد إليه نظره .

- لأنى أرسلت إليه قميصى، لقد حطمتم رجلاً لولا إيمانه لأحاط به الفزع الأكبر من الهول .

- هو سيغفر .

- لأنه أب وأنه لم يعرف ما كنتما تدبران .

- أوَتقول له ؟

- سنرى . . هلم بنا إليه .

وارتمى صابر فى أحضان صدِّيق وعلا منهما بكاء الفرح،

وأحاطت بالاثنين ذراعا هند وقلبها.. وراح صديق يُقبِّل رأس أمه ووجهها وعينيها. إنها أمه الحق.. التى لا يخاف عندها ولا يعرى. وحين هذا اللقاء نظر إلى صديق ثم نظر إلى عبدالغنى وعبدالودود وقال لصديق:

- إنك لن ترد لى عندك طلباً..

- حتى إن كانت عودتى إلى حيث كنت..

- أنا أعلم أنك ما هربت إلا فزعاً من أخويك.

وقف الإخوة الثلاثة وأكمل صابر:

- أتذكر الرؤيا التى رويتها لى قبل أن نفترق.. إنك فى الرؤيا قد غفرت فهل أرجو أن تغفر فى الحياة؟ وكفاهما أنهما لم ينجبا ولداً ولا ابنة.. إن السماء تعرف كيف توزع الأرزاق..

ويقول صديق مطرقاً:

- اللهم إنى أغفر، واللهم ارزقهما البنين والبنات.. واللهم لك الحمد فى الأولى والآخرة. اللهم تقبل دعاء.

ويطرق صابر وهند وعبرات تسبق قولهما معاً..

- اللهم آمين..

ثروت أباظة.. كاتباً وباحثاً

لقد اخترنا بعض نماذج من روايات ثروت أباظة لنبرز أهم السمات التى تميز رواياته بشخصياتها، والأجواء التى تجرى فيها أحداث الرواية.

فإذا ما اتجهنا إلى قصصهم القصيرة مثل الأيام الخضراء وذكريات بعيدة، وهذه اللعبة، وحين يميل الميزان، نرى أنفسنا أمام قاصٍ موهوب

.. من خلال الحوار.. واللحظة المكثفة، والسير بالأحداث إلى طريقها المرسوم، يملك نفس الموهبة التى يملكها فى فن الرواية الطويلة.

إنه مثلاً فى قصته (نوع من الحب) فى مجموعته القصصية (حين يميل الميزان) يصور الزوجة التى تريد زوجها لها وحدها، ولا ترغب فى أن يكون ناجحاً إذا لم ينسب النجاح إليها وكان هذا الزوج مغرماً بالموسيقى، ولكن زوجته لم تحتف بزوجها ولم تشجعه، وإن كانت أختها تشجعه، ورغم فشل هذا الموسيقار إلا أنه صمم على أن يشبع هوايته، ويتعلم الموسيقى، وكانت أخت زوجته تشجعه.

..ونجح الفنان فى أن يكون عازفاً على الكمان ونولنا موسيقياً.

ولكن الزوجة كان من رأيها. لم أكن أتصور أن هذا (السنكوح) سيصبح فى يوم من الأيام هذا الموسيقار الذى يملأ

الدنيا بنجاحه.. لو كنت أعلم ما تزوجته.. إننى أريد زوجى زوجى فقط ولا أريده شيئاً آخر لم تعد (بسيمة) تهمنى فقد تزوجته وقضى الأمر، ولكن كيف نجح ..ماذا يجد الناس فى موسيقاه «ماذا يجد الناس» لم لا يتركونه لى. إنه لم يصبح زوجى لقد أصبح الموسيقار الشهير.. ولكنه أبداً ليس زوجى»

وبتلك اللوحات المستمدة من واقع الحياة المتغير، ومن خلال صور الحياة المختلفة من فقر وغنى وسلطة وجاه، وحب وبحث عن لقمة العيش، تسير قصص كاتبنا الكبير.. فتقرأ هذه اللوحات أو هذه القصص، وأنت مشدود إليها، بما فيها من نبض قوى، وإدراك سليم لما يجرى فى دنيا الناس، وكأنه المصور البارع الذى يلتقط صوراً من بين ملايين الصور.. ولكن الصور التى تهز الوجدان، وتعيش فى القلب وترسم صوراً للحياة، أو نماذج للحياة يلتقطها بعدسة الفنان، ويبرز معالمها، ويسبر أغوارها، فإذا بك تعيش وسط الأحداث من خلال سرد قصصى جذاب بواقعية فنية محببة إلى النفس.. ولن تجد عندما تقرأ هذه القصص - لا خطابة.. ولا مباشرة.. ولا وعظاً وإرشاداً، وإنما تستشف أنت بنفسك العبرة والعظة من هذه القصص. لأن الفن الجيد لا يمكن أن يكون انعكاساً للواقع، ولكن الفن الجيد هو الرؤية النقدية لهذا الواقع.

وإذا نظرنا من خلال نظرة - طائر كما يقولون - إلى دراسته، فقد أعجبنى ما قرأته له.. فى كتاب (شعاع من طه حسين) حيث ألقى

الضوء على عميد الأدب العربى، وما قدمه للفكر المعاصر، والأدب المعاصر من أياد بيضاء، استمدها من عبقريته، وأيضاً من دراساته التراثية والمعاصرة، وأثر ثقافته الفرنسية والأزهرية، فى تكوين هذه الشخصية التى ملأت الدنيا وشغلت الناس.

ومن الدراسات الهامة لكاتبنا دراسته التى كتبها تحت عنوان (القصة فى الشعر العربى) والكتاب فى غاية العمق والطرافة، فهو يتناول السرد القصصى كما جاء فى شعراء الأقدمين، فقد تناول القصة فى شعر جميل بثينة، وامرىء القيس، وعمر بن أبى ربيعة، وعنترة، والمتنبى، وابن الرومى، والبحترى، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقى ، وهو فى هذه الدراسة الهامة تحدث عن الشاعر ويعطى فكرة ضافية عنه ومكثفة فى نفس الوقت.

ثم يحكى بعد ذلك عن السرد القصصى لتلك الأشعار التى استشفها فى قصائدهم.. وهو بالطبع لا يقصد أن الأقدمين عرفوا فن القصة، فهو فن حديث نقلناه عن الغرب، ولكن يتحدث عن الأنماط القصصية التى قالها هؤلاء الشعراء فى مختلف العصور إلى إلى العصر الحديث، ومنها هذه اللفتات القصصية.

ولنأخذ نموذجاً مما كتبه عن القصة فى شعر الشاعر المعروف عمر بن أبى ربيعة.. فهو بعد أن يلقى الأضواء على حياته وغزلياته، يحدثنا عن قصص قصيرة فى شعر عمر.. فيقول عنها:

إن الناظر إلى شعر عمر يجد عنده مجموعة من القصص

القصيرة الممتعة، ومعروف أنه يجمل بالقصة القصيرة أن تكون قليلة الأشخاص، متحدة في الزمن، أى لا يتباعد الزمن بين أطرافها، ويجمل بها أن تركز تركيزاً يوشك أن يكون كاملاً على الومضة التى تحت فى ذهن الكاتب، لننظر معاً هل فيما وقعت عليه من القصص القصيرة عند عمر بن ربيعة مثل هذا...؟

يقال: إن عمر حين علت به السن أقسم لا يقول بيتاً من الشعر إلا أطلق جارية من جواريه، وفى يوم وجد حبيبين يتناجيان فسألهما: لماذا لا تتزوجان؟ فقال الشاب: إن أبا الفتاة يطلب مهراً كبيراً فقال عمر: بنا إليه، ودفع مهر الفتاة، وتزوج الحبيبان، وأحس عمر بالشعر يثور به فتوزعت نفسه بين أن يقول فيحنث بالقسم وبين أن يكتم هذا المرجل الذى يغلى فى صدره..

ورأت جاريته المقربة ما هو فيه من حيرة فسألته عما به فلم يُطق صبراً وانفجر بالشعر:

تقول وليدتى لما رأتنى ... طربت وكنت قد أقصرت حيناً
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً ... وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء ... إذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل أتاك لها رسول ... فشاقك أم لقيت لها خدينا؟
فقلت: شكا إلىَّ أخ محب ... كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص علىَّ ما يلقى بهند ... فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعزى ... مشوق حين يلقى العاشقينا

وكم من خلة أعـرضت عنهـا   لغيـر قلى وكنت بهـا ضنينا
أردت فراقهـا وصبـرت عنهـا   ولو جن الفـؤاد بهـا جنونا

وأطلق تسع جـوار، لقـد كـان يريد أن يعـيش للفن، بل إننى أحسب أنه ما أحب ولا غامر إلا ليقول الشعر . . .

تراك هل لاحظت القرشى الأصيل يعف عن أن يذكر ما قدمه من المال إلى العاشقين.

وإنما يذكر هذه النبضات التى تذكر بها بعض زمانه . . ثم هذا البيت الذى ما زال صداه يرن فى سمع الأجيال حتى اليوم . .

وذو الشوق القديم وإن تعزى   مشوق حين يلقى العاشقينا

معى إذاً إلى قصة أخرى . . وهى لا تحتاج إلى مقدمات :

أرسلت هند إلينا رسـولا   عـاتبـاً أنْ مـا لنا لا نراكـا
فيم قد أجمعت عنا صدوداً   أأردت الصـدام أم مـا عـداكـا
إن تكن حاولت غيظى بهجرى   فلقـد أدركت مـا قـد كـفـاكـا
كـاذبـاً قـد يعلم الله ربى   أننى لم أجن مـا كنه ذاكـا
وألبى داعـيـاً إن دعـانى   وتصـام عـامـداً إن دعـاكـا
وأكـذب كـاشـحـاً إن أتانى   وتصـدق كـاشـحـاً إن أتاكـا
إن فى الأرض سـاحـاً عـريضـاً   ومناديح كـثـيـراً سـواكـا
غـيـر أنى فـاعلمن ذاك حـقـاً   لا أرى النعـمـة حـتى أراكـا
قلت مـهـمـا تجـدى بى فـإنى   أظهـر الود لكم فـوق ذاكـا
أنت همى وأحـاديث نفـسـى   مـا تغـيـبـت وإذ مـا أراكـا

وتستطيع أن ترى فى هذه الأبيات صورة من أوضح الصور للقصة الحوارية فلقد ردت الأبيات موقفه الذى تأخذه عليه حبيبته وغضبها ثم حبها، فهى قائلة له إن الأرض واسعة وبها مناديح كثيرة سواه، ولكنها لا تحب من الأرض، ومن هذه المناديح إلا هو، ويعطف هو على هوى حبيبته..

ولا أستطيع أن أترك عمر بن أبى ربيعة، ولا أذكر قصيدته الرائعة التى يتعلق بها ـ فيما يروى الرواة ـ حدث من أهم الأحداث فى حياة الدولة العباسية.. وما إخالك إلا عرفت الأبيات:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد
زعموها سألت جاراتها ... وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتنى تبصرننى ... عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها ... حسن فى كل عين من تود
حسد حملنه من شأنها ... وقديماً كان فى الناس الحسد
ولقد أذكر إذ قلت لها ... ودموعى فوق خدى تطرد
قلت من أنت فقالت أنا من ... شفه الوجد وأبلاه الكمد
نحن أهل الخيف من أهل منى ... ما لمقتول قتلناه قود
قلت أهلاً أنتم بغيتنا ... فتسمين فقالت أنا هند
إنما أهلك جيران لنا ... إنما نحن وهم شيء أحد
حدثونى أنها لى نفثت ... عقداً يا حبذا تلك العقد
كلما قلت متى ميعادنا ... ضحكت هند وقالت بعد غد

أليست هذه مجموعة قصص كاملة . . قصة الغيرة بين الفتيات ، وقصة الحب ونشأته ، أتراك لاحظت ما يقوله عن صلته بأهلها ، ألا ترى مثل هذا فى حياتنا العادية حين يحاول الفتى أن يتقرب من فتاة ، فيخلق صلات بينهما قديمة ، ويقول لها إن أهله وأهلها شيء واحد ، ثم أترى إلى قرير الشاعر وكيف يذكر أن حبيبته تستعين عليه بالسحر وهو سعيد بسحرها هذا ، ثم البيت الأخير الذى يشبه قصة صاحب المطعم الذى علّق لافتة تقول من يأكل اليوم ويدفع يأكل غداً مجاناً ، وترك اللافتة معلقة فلم يأت هذا الغد أبداً ، كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد . .

أما ما قيل عن أثر هذه القصيدة فى التاريخ فإنه يروى أن إسحق الموصلى غنى أمام هارون الرشيد :واستبدت مرة واحدة إنما العاجز مَنْ لا يستبد وظل يطرب فيها ويعيد ويزيد ، ثم يروى أن الرشيد ظل يردد : إنما العاجز من لا يستبد ، حتى أنزل بالبرامكة ما أنزله . .

أليس عجيباً أن يكون هذا الشعر الرقيق الغزل العذب سبباً فى نكبة ؟

ولكن الناس لا يستطيعون فى شرهم أن ينأوا عن مواطن الجمال فى الحياة ، فإذا هم يجعلون منها ظلماً واستبداداً ، علم الله لو كان عمر يدرى أنه يقول هذا الشطر لغير الفن والجمال ما قاله ، فما قصد استبداد الكاره ، بل استبداد المحب ، وما قصد استبداد الرشيد ، بل استبداد هند .

وإذا كنا لابد أن نقف عند دراسته تلك الممتازة عن الخط الشعرى عند الشعراء فى مختلف العصور من العصر الجاهلى إلى اليوم، فرغم إيجازه الشديد إلا أنه يرسم ملامح الصورة لإيقاع القصص فى شعر هؤلاء الشعراء.

ولأن هذه الدراسة قد استفدت منها بالفعل رغم قراءاتى للشعر فى مختلف العصور، ابتداء من العصر الجاهلى إلى العصر الحديث، فى دراسات مطولة، إلا أن هذه الدراسات بقدر ما أرهقتنى، بقدر ما وجدت فيها تطويلاً يدعو إلى الملل، ولا أريد أن أضرب أمثلة.. ولكن بعض هذه الدراسات التى قرأتها كانت تحتل الواحدة منها أكثر من ثلاثمائة صفحة.

ولكن الأديب الباحث ثروت أباظة رغم إيجازه إلا أنه أبحر بنا فى عالم هؤلاء الشعراء باقتدار من قرأ وفهم واستوعب، ثم كانت له رؤياه لهذا الشعر ومن الطبيعى أن نأخذ مثلاً مما كتبه عن الشعر الحديث عند شاعر النيل حافظ إبراهيم، وأمير الشعراء أحمد شوقى.

ولنتوقف عند نموذج من هذا الشعر المعاصر من خلال السرد القصصى الذى كان يدخل فى نسيج هذا الشعر. وليكن أمير الشعراء أحمد شوقى. فيقول عن القصة فى شعره:

إن صلتى بأحمد شوقى أمير الشعراء صلة وثيقة وطيدة، فقد

كان أبى يحبه ويحب شعره، وأحسب أن شعر «شوقى» هذا أول شعر سمعته فى حياتى.. وقد جذبنى منذ سمعته.. وتعلقت به فى إعجاب وإكبار وتحمس.. وإننى من الكثيرين الذين يعتبرون شوقى هو أعظم الشعراء الذين أنجبتهم العربية منذ عرف الشعر.. فقد استطاع أن يجمع ضخامة المتنبى، وصياغة البحترى، وأناقة الشريف الرضى.. وصناعة أبى تمام.. كل ذلك فى شعر يتسم بملامحه هو.. وبملامح جيله وبلاده.. ثم هو الذى أنشأ المسرحية الشعرية فى الأدب العربى.. وإن كان عزيز أباظة قد طور المسرحية بعده وجعلها فناً أشم باذخاً، فلشوقى دائماً فضل السبق والريادة.. كما كان عزيز باشا يقول دائماً..

وقد بدأت قراءة شوقى وحفظ شعره منذ لا أذكر متى.. ولكننى على أية حال أذكر أننى قرأت مجنون ليلى ثلاث عشرة مرة متعاقبة وأنا أنتظر نتيجة الشهادة الابتدائية فى عام ١٩٣٩ وكان عمرى إذ ذاك اثنتى عشرة سنة..

ولو شئت أن أتكلم عن القصة عند شوقى.. لكتبت فيه وحده مجموعة تستطيع أن تصل إلى عشرين فصلاً.. إن لم تكن أكثر فالقصة التاريخية عنده لا نهاية لها.. واللفتات التاريخية أيضاً لا يمكن أن يحيطها بحث..

فحين يقول مثلاً:

والعلم بدرى أحل لأهله ما يفعلون

مشيراً بذلك إلى أن النبى بشر أهل بدر بأن الله غفر لهم ذنوبهم وحين يقول :

السبق من عاداتكم أترى القيامة تسبقون

مشيراً إلى سبق قدماء المصريين على زمانهم . .

تحسن مدى اتصاله بالتاريخ وتعلقه به .

ولقد كنت وأنا أتنقل بين قصائد شوقى حائراً فى أيها أختار لك، وأيها أدع. فكرت فى مصاير الأيام وأنا أكاد أحفظها وهى تمثل الرواية الشعرية فى أروع صورها . . وفكرت أن أقتبس لك من كبار الحوادث فى وادى النيل، وهى تمثل القصة التاريخية الكاملة وفكرت وفكرت وانتهيت أن أترك القلم يجرى، وهو سيقدم لك دون عناء - روائع خالدات . . اقرأ معى هذه القصة الكاملة . .

علقت محاجره دمى وعلقته وأغن أكحل من مها يكفيه

بين القتا الخطار خط نحبته لبنان دارته وفيه كنامة

والآس من خضر الخمائل قوته السلسبيل من الجداول ورده

قال الجمال براحتى مثلته إن قلت تمثال الجمال منصباً

فأتيت دون طريقه فزحمته دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل

حال من الغيد الملاح عرفته فازور غضباناً وأعرض نافراً

وزعمتهن لبانتى فأغرته فصرفت تلعابى إلى أترابه

وقعت عليه حبائلى فقنصته فمشى إلىَّ وليس أول جؤذر

وأثبت من سحر البيان قصدته قد جاء من سحر الجفون فصادنى

قصة كاملة فيها الرومانسية فى أنضر صورها وأزهاها، وفيها وصف بطلة القصة فى لفظ موفق، ذلك الوصف الذى يقدح لدى القارىء شرارة التشويق تهم بأن تقول له: كفى، ثم بعد، ثم تتأنى، نريد أن نسمع من الوصف مزيداً.

وانظر معى كيف كتب قصة مؤتمر الصلح بين الأحزاب فى مصر فكتب قصة كفاح مصر وبرلمانها..

بشرى إلى الوادى تهز نباته ... هو والربيع مناكب الأرواح
تسرى ملمحة الحجول على الربى ... وتسيل غرتها لكل بطاح
التأمت الأحزاب بعد تصدع ... وتعالت الأقلام بعد تلاحى
سحبت على الأحقاد أذيال الهوى ... ومشى على الأوتار والأقداح
ترمى بطرفك فى المجامع لا ترى ... غير التعانق واشتباك الراح
شتى فضائل فى الرجال كأنها ... شتى سلاح من قنا وصفاح
فإذا هى اجتمعت لملك جبهة ... كانت حصون مناعة ونطاح
الله ألف للبلاد صدورها ... من كل داهية وكل صراح
وزراء مملكة دعائم دولة ... أعلام مؤتمر أسود صباح
يبنون بالدستور حائط ملكهم ... لا بالصفاح ولا على الأرماح
وجواهر التيجان مالم تتخذ احتل ... من معدن الدستور غير صحاح
حصن السحق غير جنوده ... وتكالبت أيد على الملتاح
ضجت على أبطالها ثكناته ... واستوحشت لكماتها النزاح

هجـــرت أرائكـه وعطـل عــوده   وخـــلا من الغـــادين والـرواح
وعــلاه نسج العنكبــوت فــزاده   كـالغـار من شرف وسـمت صـلاح

أرأيت كيف روى محنة الدستور والبرلمان فى مصر . ثم أرأيت هذه الإشارة فى البيت الأخير ، وكيف روى لك بها قصة الغار والعنكبوت فى هجرة النبىﷺ ؟ ورأيت ورأيت وما أعظم ما نرى لشوقى وما أروع ما بهرنا شعره العبقرى وفنه الخالد .

كنت أنوى أن أخصص هذا الفصل لشعر الأطفال عند شوقى ، الذى أراد به أن ينقل فن لافونتين الفرنسى إلى الشعر العربى ، ولكن عز علىَّ أن أترك قصيدة أحببتها وحفظتها فى يوم من الأيام ، وتمثل الحياة وقصة الحياة ، دون أن أنقل منها ، إنها قصيدة مصاير الأيام ، وهى قصيدة طويلة تربو على الثمانين بيتاً وقد تزيد ، ولكننى سأحاول أن أقدم القصة منها ، فى نقلات سريعة ، إن استطعت إلى ذلك سبيلاً :

ألا حـبـذا صـحـبـة المكتب   وأحـبـب بأيامـه أحـبـب
ويا حـبـذا صـبـيـة يمرحـون   عـنان الحـيـاة عليـهم صـبى
يراح ويغـدى بهم كـالقطيع   على مشـرق الشـمس والمغرب
إلى مـرتع ألفـوا غـيـره   وراع غـريب العـصـا أجنبى
ومستـقـبل من قيـود الحياة   شـديدعلى النفس مستصعب
توارت بهم سـاعـة للزمـان   على الناس دائرة العـقـرب
تشـول بإبرتهـا للشـبـاب   وتقـذف بالسم فى الشـبب

يدق بمطرقـتـيـهـا القـضـاء | وتجـرى المقـادير فى اللولب...
وتـلـك الأواعـى بـأيمـانـهـم | حـقـائب فـيـهـا الغـد المختبى
فـفـيـهـا الذى إن يقم لا يعـد | من الناس أو يمض لا يحـسب
وفـيـهـا اللواء وفـيـهـا المنار | وفـيـهـا التبـيع وفـيـهـا النبى
وفـيـهـا المؤخـر خلف الزحـام | وفـيـهـا المقـدم فى الموكب

أليست هذه بواكير قصة الحياة فى الطفولة فلننتقل معه إلى الصبا:

جـميـل عليـهم قـشيب الثيـاب | ومـالـم يجـمـل ولـم يقـشب
كـسـاهـم بنـان الصـبـا حلة | أعـز من المخـمـل المذهب
وأبـهـى مـن الـورد تحـت الـندى | إذا رف فـى فـرعـه الأهـدب
وأطهـر من ذيلهـا لـم يلـم | من الناس مـاش ولـم يسـحب

ثم انظر إلى هذا الهول الذى تحيط به الحياة أبناءها وأمسك قلبك أن يطير من مكانه:

قـطيـع يـزجـيـه راع من الدهـ | ـر لـيـس بـلـين ولا صـلـب
أهـابـت هـراوتـه بـالـرفـاق | ونـادت على الحـيِّـد الهـرب
وصـرف قطعـانه فـاسـتبـد | ولم يخش شـيـئـاً ولـم يـرهب
أراد لمن شـاء رعى الجـديب | وأنـزل من شـاء بالمخـصب
وروى عـلى ريِّهـا النهـلات | ورد الظمـاء فلـم تـشـرب
وألقى رقـاباً إلى الضـاربين | وضـن بأخـرى فلـم تضـرب
وليس ببـالى رضـا المسـتريح | ولا ضـجـر الناقـم المتـعب

وليس بمبق على الحاضرين وليس بباك على الغيب
فيا ويحهم هل أحسُّوا الحياة لقد لعبوا وهى لم تلعب
تجرب فيهم وما يعلمون كتجربة الطب فى الأرنب
سقتهم بسم جرى فى الأصول وروى الفروع ولم ينضب ؟

لابد أن أقف . أحس قلبى يتقافز فى صدرى .. ما هذه الحياة ؟

ولكنها الحياة وما هذا الهول ؟ ولكنها الحقيقة ، ذلك هو الفنان يضع أمامك الحقيقة التى تعرفها فتروعك وكأنك لم تكن تعرفها .

أنمضى معاً فى قصة الحياة .. وكيف نستطيع التوقف ، وهل تسمح لنا الحياة أن نتوقف ، فلنمض ، فإن الحياة تريد لنا أن نمضى .

ودار الزمان فدال الصبا وشب الصغار عن المكتب
وجد الطلاب وكد الشباب وأوغل فى الصعب فالأصعب
وعذب بالعلم طلابه وغصوا بمنهله الأعذب
رمتهم به شهوات الحياة وحسب النباهة والمكسب
وزهو الأبوة من منجب يفاخر من ليس بالمنجب
تؤلفهم فى ظلال الرخاء وفى كتف النسب الأقرب
وتكسر فيهم غرور الثراء وزهو الولادة والمنصب
بيوت منزهة كالعتيق وإن لم تستر ولم تحجب
يدانى ثرى ترى مكة ويقرب فى الطهر من يثرب
إذا ما رأيتهمو حولها يموجون كالنحل عند الربى
رأيت الحضارة فى حصنها هناك وفى جندها الأغلب

وبعد أن رسم لك فى درامية باذخة دور القدر فى حياة الإنسان يصل إلى نهاية القصة .

وخدش ظفر الزمان الوجوه وغيض من بشرها المعجب
وغال الحداثة شرخ الشباب ولو شبت المرد فى الشبب
سرى الشيب متئداً فى الرءوس سرى النار فى الموضع المُعشب
حريق أحاط بخيط الحياة تعجبت كيف عليهم غبى
ومن تظهر النار فى داره وفى زرعه منهم يرعب
حياة يغامر فيها امرؤ تسلح بالناب والمخلب
وصار إلى الفاقة ابن الغنى ولاقى الغنى ولد المترب
وقد ذهب الممتلى صحة وصح السقيم فلم يذهب
وكم منجب فى تلقى الدروس تلقى الحياة فلم ينجب
وغاب الرفاق كأن لم يكن بهم لك عهد ولم تصحب
إلى أن فنوا ثلة ثلة فناء السراب على السبسب

لا تعليق . .

المقال عند ثروت أباظة

ولا يمكن أن نتحدث عن ثروت أباظة الأديب والباحث، والحافظ لعيون الشعر العربى فى مختلف عصور التاريخ ، إلا أن نتحدث عنه ككاتب. فهو كاتب مقال بارع، امتاز مقاله بعدم التطويل، ولكنه مقال مكثف.. يدخل فى الموضوع بعد مقدمة منطقية رصينة، ويتناول موضوعه بأسلوب رشيق، وبلغة عربية فصيحة وغير متقعرة، وكثيراً ما يستند إلى بعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو يسوق شعراً من التراث أو الشعر المعاصر، فيصبح لمقاله طبيعة خاصة، ونكهة خاصة.

وهو لا يسعى إلى المعارك الكلامية، ولكنه يقول ما يعتقد أنه الصواب، ولكنه كثيراً ما يواجه هجوماً عليه، فلا يسعه إلا الرد، وإذا رأى أن من يهاجمه يخرج عن أصول الحوار والنقاش بالمنطق والحجة إلى التجريح الشخصى والبعد عن الموضوعية فإنه يلجأ إلى القضاء ليقول كلمته.

ولنقف عند نموذجين من كتاباته فى فن المقال.

وقبل أن نعرض هذين النموذجين، ممكن أن نقول من خلال إلمامة سريعة، أن الشعر قد ساد فى العصر الجاهلى، ولأن العرب كانت تحفظه - حتى الذين لم يعرفوا القراءة والكتابة - ولم يكن معنى ذلك أنه لم يكن هناك نثر، فقد كان هناك النثر المتمثل فى الخطب كتلك التى عرفناها عند قس بن ساعدة الإيادى. وغيره.

والنثر زادت أهميته فى عهد النبوة، وكان الرسول ﷺ أفصح العرب لساناً، وأكثرهم بياناً، وكانت خطبه ومواعظه ورسائله إلى الملوك والقياصرة والحكام دليلاً على سمو أسلوبه البلاغى، وإيجازه المعجز.

وزادت الحاجة إلى النثر فى عهد الراشدين، لاتساع رقعة الدولة، وأهمية الكتابة إلى الولاة، وتنظيم الإدارة، ثم زادت هذه الأهمية فى العهد الأموى متمثلة فى حاجة الخلفاء إلى الكتابة النثرية فى الدواوين، أكبر مثل على ذلك ما كتبه عبد الحميد الكاتب.

ولكن فن المقال لم يزدهر بالصورة التى نعرفها إلا من خلال الصحف عندما ظهرت فى أوربا وانتقلت إلى مصر والعالم العربى.. وأصبح المقال سمة مميزة لهذه الصحف، سواء فى المجال الأدبي أو السياسى أو النقدى، أو حتى المقال الاقتصادى...

وأصبح المقال له سماته.. منه المقال الطويل الذى قد يمثل صفحة كاملة من الجريدة، أو عدة صفحات من المجلة، وقد يكون عموداً، وأصعب الكتابات هى تلك الكتابات المكثفة لا المقالات الطويلة، التى قد تمتلىء بالإطناب والإطالة، وقد يملها القارىء.

وثروت أباظة من الكُتَّاب الذين يحبون أن تكون كتاباتهم مكثفة، ولكنها ذات مضمون يصل إلى القارىء بسهولة ويسر.. وإليك بعض نماذج من كتاباته.

وبالحق نزل..

قرأت فيما قرأت منذ قريب كلاماً حاولت أن أجمع شتاته، أو ألم شعثه، فتأبّى على ونفر أن يلتئم، ورفض أن ينسجم بعضه مع بعضه. فقد قال القائل: إن الشيوعية لا تتعارض مع الإسلام، وتلك عجيبة من العجائب. وقد حاول الكاتب أن يسوق الأدلة ويدعم رأيه بالبراهين، فإذا بالأدلة تنهار جميعاً وإذا دعائمه تتساقط مع براهينه لتصبح أنقاضاً من هذاء، وحطاماً من لغو الكلام.

فالشيوعية لا تجتمع مع الإسلام في وعاء واحد أبداً. ولا يستطيع أن يكون إنسان ما شيوعياً ومسلماً فى وقت معاً مطلقاً.

فالإسلام يقوم على خمس أهمها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهاتان الشهادتان ليستا مجرد كلام يقال، وإنما هما كلام وعمل، وقول وفعل، ونطق وإيمان.

لابد أن نؤمن أن الله واحد أحد، وأنه سبحانه أرسل رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام، وجعل معجزته هى المعجزة الوحيدة الخالدة فى تاريخ جميع الرسل والأنبياء. فكل معجزات الأنبياء كانت بصرية شهدها قوم النبى الذين أرسل إليهم، والذين عاصروه، بل والذين تصادف وجودهم وقت وقوع المعجزة.

أما الإسلام فمعجزته القرآن.. كتاب لا يأتى عليه الزمان، ويأتى هو على الزمان، باقياً خالداً، دائماً تتلقاه الأجيال كما أنزل، لا يختلف فى حرف من حروفه عن يوم أوحى به إلى خاتم الأنبياء إلى يوم تقوم الساعة.

ويقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (سورة الإسراء الآية ١٠٥) . تعاليت يا سبحانك . . هذه الدقة فى التعبير لم تعرفها اللغة فى كل ما كان من كلام قبل الكتاب ، وفى كل ما تبعه من ألوان القول .

وهذه التفرقة الدقيقة فى آيته الكريمة لم تعرفها اللغة إلا فى القرآن الكريم . فالله سبحانه وتعالى يعلن البشرية أنه أنزل كلامه بالحق ، ولا يكتفى بهذا ، بل يعلنهم جل وعلا أنه بالحق نزل .

فهو حق فى بداية رحلته وهو حق حين انتهت رحلته ، ليصبح بلاغاً إلى العالمين . فيا أيها الناس اعلموا منذ نزل القرآن إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ، أن هذا القرآن صدر عن الحق ، وأصبح بلاغاً لكم بالحق ، لا يستطيع باطل أن يتغشى حرفاً منه بظل ، مهما يكن هيناً . .

وهو سبحانه يضمن للعالمين أنه هو المسئول عن ذكره . . فيقول سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ صدق الله العظيم - (سورة الحجر) . وقد فعل سبحانه ، وبقى الكتاب ، وهو باق إلى الأبد الأبيد .

فالذى يقول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، يشهد بهاتين الشهادتين أن الله أرسل سيدنا محمداً بكتابه العزيز ، وأن الكتاب أنزله الله بالحق وأنه بالحق نزل .

وليس فى الأمر اجتهاد إذن . . وما دمت شهدت الشهادتين، فأنت إذن تشهد أن القرآن من عند الله .

وأنت ملزم أن تؤمن بكل ما جاء فى الكتاب . وما دام كتاب الله فأنت لا تستطيع أن تقبل منه ما تقبل، وترفض منه ما ترفض . فهو ليس كلام بشر مثلك، وإنما هو كلام الله الذى هو الله . فإذا كان الأمر كذلك، وإنه لكذلك، فكيف يستقيم فى الأذهان أن يكون هناك شيوعى مسلم؟

ولست أريد أن أدخل فى جدل عريض حول أصل النظرية الشيوعية من ماركس إلى من تبعه بإلحاد إلى آخر شيوعى، وإنما أريد أن أناقش ما لا شك فيه .

فالنظريةالشيوعية ترفض الملكية التى تعود بمال على صاحبها وترفض النظرية الشيوعية فكرة الميراث جملة وتفصيلاً .

وأسأل هؤلاء الشيوعيين : كيف يستقيم هذا مع ما جاء فى القرآن، فهل تراهم يجيبون؟

لن يجدى هنا قول القائل منهم أنه مسلم، وأنه يقيم الصلاة فى مواقيتها، وأنه حج بيت الله الحرام . . فكل هذا لن يغنيه عن الإجابة شيئاً .

فهو ما دام مسلماً فلا بد أنه يعرف أن هناك سورة اسمها سورة النساء . وما دام يعرفها فلا شك أنه يعرف تفاصيل المواريث التى أوردها الله سبحانه فى هذه السورة، وهي تفاصيل لم يذكرها

سبحانه وتعالى عن الصلاة وهى الصلاة. فالقرآن لم يذكر عدد الركعات فى كل صلاة، ولم يذكر سبحانه كيفية الصلاة من ركوع وسجود. ولست أريد بذلك أن أقول إن المواريث أهم - أعوذ بالله سبحانه أن أقصد إلى شىء من هذا - وإنما أردت فقط أن أشير إلى مقدار الأهمية التى شمل الله بها فكرة الميراث فى قرآنه الكريم.

فكيف يريد الشيوعيون أن يحرموا الميراث والملكية ويظلوا بعد ذلك مسلمين؟ هيهات..

لقد كان كارل ماركس أكثر صراحة.. أم الأجدر بى أن أقول: إنه كان أكثر وقاحة منهم، فقد علم يوم أنشأ نظريته أنها ستتعارض مع جميع الأديان.. فألغى الأديان جميعاً واستراح، وأتعب البشر من بعده.

فإذا نظرنا إلى تطبيق النظرية فى البلاد الشيوعية، وجدنا الكنائس أصبحت متاحف، ووجدنا الدول الشيوعية تمنع غير الملحدين أن يدخلوا الحزب الشيوعى.. وويل أى ويل لإنسان فى البلاد الشيوعية لا يكون عضواً فى الحزب الشيوعى.

إن الشيوعية حرب على الأديان جميعاً، بنص النظرية. وإذا كان المشرعون للنظرية الشيوعية فى موسكو يجيزون لأتباعهم أن يدعوا التدين ليجتذبوا الناس إلى نظريتهم، فإن الإسلام وجميع الأديان لا تتيح لأتباعها أن يختاروا من الدين ما يحلو لهم فيعتنقوه، وينصرفوا عما لا يروق لهم وينبذوه.

إن الدين كل متكامل لا يجوز لأحد من البشر أن يختار منه ويرفض.

وإذا كانت الأوامر قد صدرت للشيوعيين فى الدول الإسلامية أن يدَّعوا الإسلام كفترة يسمونها مرحلية، فإن الإسلام والمسلمين يعلمون المؤمنين والكافرين، ويستطيعون فى يسر ومنطق لا يقبل الجدل أن يعرفوا المسلمين إسلاماً يسترون به إلحادهم، والمؤمنين الذين يعرفون ماذا يعنى قولهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ومن عجب قولهم فى ميدان الإلحاد أن أصل العالم مادة. ثم هم يفصلون نظريتهم فى الخلق تفصيلاً جريئاً لا مثيل لجرأته. وهم بهذه النظرية يريدون أن يقولوا إنهم يرفضون فكرة الإيمان بالغيب، وأنهم لا يؤمنون بغير العلم.

فإذا هم ودون أن يشعروا يقيمون نظرية تقوم كلها على الغيب، لا يؤيدها أى دليل علمى أو روحى. فالأمر الذى لا شك فيه أن ماركس لم يكن شاهداً على بدء الخليقة، كما لم يكن إنجلز أو لينين حاضرين.. فكيف إذن استقامت النظرية بين أيديهم، ويطلقون عليها اسم النظرية المادية، ويطمئنون إلى ذلك ويستريحون؟

بينما نصدق نحن المؤمنين ما جاء فى القرآن عن بدء الخليقة فى منطق منسجم مع طبيعة إيماننا كل الانسجام.. فالذى عرف سر الروح فى الإنسان أرسل إلينا كتاباً هو معجزة الدهور. وفى هذا الكتاب ذكر كيف نشأ الخلق. وما دمنا لم نعرف سر أرواحنا فحتْم علينا أن نصدق كل ما يقول.

ويصبح القرآن الكريم فى خلق الله أجمعين (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) سبحانك ما أعظمك، ولكن الملحدين لا يبصرون ولا يريدون أن يبصروا. فعلى القلوب أقفالها، وهم يستمدون إلحادهم من جيوبهم ومن أرباحهم، ثم هم يزدادون جرأة على الحق، ويدعون أنهم مؤمنون.

وما داموا قد فقدوا الإيمان بربهم، فلا عجب أن يفقدوا الإيمان بوطنهم. وها هم أولاء يشعلون الفتن فى كل يوم، ويلقحونها بالسخيمة والأحقاد والضغائن. ويستجيب لهم فتية أبرياء لا يدرون أنهم جعلوا منهم الوقود ليحرقوا به أمن الوطن.

وليس لكافر ميثاق ولا عهد. وهؤلاء الشيوعيون يعلمون أن نباتهم لا ينمو إلا فى الأرض المحترقة، وعلى أنقاض الأوطان. وها هم أولاء يحاولون أن يحرقوا بلادنا، ويهدموا أركانها.

ولكن هيهات.. إن الشعب لهم بالمرصاد، ومن فوقه العزيز ذو القوة المتين. وما خاب من كان الله ظله وعونه وملاذه وملجأه.

ويصل إلىَّ خطاب من الصعيد يسألنى: لماذا أكتب عن الشيوعيين وهو لا يعرف عنهم شيئاً!! هنيئاً لك أنك تجهل أمرهم، فقد أكرمك الله بهذا الجهل كل الإكرام. ولكننى يا أخى لا أعرف ما هو الموضوع الذى تعرفه أنت حتى أكتب فيه أنا.. وما دام الأمر كذلك، فاقرأ أنت عما لا تعرفه، فإن هذا هو خير لك ولى من أن أكتب أنا عما أجهله أنا وتعرفه أنت.. ألا ترى ذلك؟؟

مصباح فيهديه

جاء فى كتاب «قصص العرب» حكاية رواها فقيه من فقهاء الشافعية اسمه أبو حامد الاسفراييني.. وإننى سأروى لك القصة فى صياغتى أنا، فإنما أريد أن أخرج منها بحديث أهفو أن أطرحه عليك. يقول فحوى القصة: إنه كان يوماً عند فخر الملك وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة، فدخل عليه الرضى أبو الحسن الشاعر الذى اشتهر باسم الشريف الرضى، فأعظمه وأكبره، ورفع من منزلته.. ترك ما كان بيده من القصص والرقاع، وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف.. ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم، فلم يعظمه ذلك التعظيم، ولا أكرمه ذلك الإكرام.

وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقع بها. فجلس قليلاً، وسأله أمراً فقضاه، ثم انصرف.

ويقول أبو حامد: إنه تقدم إلى الوزير وسأله:

- أصلح الله الوزير. هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب العلم وهو الأمثل الأفضل منهما. وإنما أبو الحسن شاعر فقط..

- انتظر حتى يخلو بنا المجلس فأُجِبك.

وخلا المجلس.. ومد الوزير يده إلى أبى حامد بخطاب كان يحفظه بين أوراقه وقال:

- هذا كتاب الشريف الرضى. اتصل بى أنه قد وُلد له ولد، فأرسلت إليه ألف دينار، وقلت: هذه للقابلة ـ فقد جرت العادة أن

يحمل الأصدقاء إلى أخلائهم، وذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال - فردها وكتب إلىَ هذا الكتاب فاقرأه.

ويقول أبو حامد إنه قرأ الخطاب، فوجده اعتذاراً عن الرد، وأنه يقول فى جملته - إننا - أهل البيت - لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا. ولا تتقاضى عجائز بيتنا أجرة ولا يقبلن صلة.

ثم يقول أبو حامد إن الوزير قال له بعد أن قرأ الخطاب.

- وأما المرتضى فإننا قد قررنا على الأملاك ما يشبه الضريبة فى مقابل حفر نهير. وكان المبلغ المقرر على المرتضى عشرين درهماً، وقد كتب إلىَّ من أجل الدراهم العشرين هذا الخطاب لأرفعها عنه.

ويقرأ أبو حامد الخطاب فإذا هو أكثر من مائة سطر كلها خضوع وخشوع واستمالة وإلحاح فى المسألة، ليسقط عنه الوزير هذه الدراهم.

حتى إذا أتم أبو حامد قراءة الخطاب قال له فخر المْلك:

- فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل. هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد، ونفسه هذه النفس، أم ذلك الذى لم يشهر إلا بالشعر وحده، ونفسه تلك النفس؟

فقال أبو حامد:

- وفق الله الوزير فما زال موفقاً وما وضع الأمر إلا موضعه ولا أحله إلا فى محله تلك هى القصة رويتها عليك وقد أذكرتنى ببيت

المتنبى الخالد :

وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

وعجبت غاية العجب أيقول أبو حامد، هذا الذى لا أعرف من شأنه شأناً، أن الشريف الرضى ليس إلا الشاعر.. وهل أعظم من أن يكون الإنسان شاعراً فناناً خلاقاً؟ إن الأديب الخلاق يصدر المرسوم بتعيينه خلاقاً من فوق سبع سماوات. وتستطيع السلطات فى الأرض أن تعين من تعين فيما تشاء من وظائف الأرض جميعاً، ولكن لا تستطيع قوة فى الأرض أن تصدر مرسوماً بتعيين إنسان ما كاتباً أو شاعراً.

إنها قوة اختص الله بها نفسه سبحانه وتعالى، وليست تجوز لغير الذات الإلهية جل شأنها وتقدست آلاؤها.

والفنان الحق هو الذى يعرف قدر نفسه وما اختصه به الله من موهبة لم يُتحها لأحد غيره. فحين يقول سبحانه عن نفسه: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة المؤمنون) لا نتصور نحن عباد الله وجود جمع للخالقين إلا هؤلاء الذين وهب الله لهم منحة الخلق الفنى. ولا تجرؤ صفة الخلق أن تنصرف لغير الفن، على أى لون له..

ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا

لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (سورة الحج الآية: ٧٣) والحديث كما ترى للناس كافة على كل مذاهبهم، والمقارنة هنا معقودة بين الإنسان وبين ما يسلبه الذباب من الإنسان وليس حتى بينه وبين الذباب.. ألا ما أهون الإنسان. وما أعظم غروره وما أشد ادعاؤه.. وهو يدرى كل الدراية أنه حين يمسه الضر ذو دعاء عريض..

عجبت إذن من أبى حامد هذا، واحتقاره لشأن الشعراء، ثم ما لبثت أن ارتددت عن العجب إلى إدراك الحقيقة. فقد أهان الشعراء أنفسهم، والإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يجعل من نفسه ذليلاً أو ذا كرامة.

وليس الفقر بمستطيع أن يذل إنساناً. وكم من فقراء قبلوا الجدوى وظلوا مرفوعى الرأس موفورى الكرامة. وها قد رأيت المرتضى يذل ويرخص نفسه من أجل عشرين درهماً، وهو لم يجد غضاضة أن يستجدى بالنفاق والكذب إعفاءه من دريهمات لا قيمة لها.

وليس بين الناس ممدوح لا يعرف الحق فى المديح الموجّه إليه، ولكن بين الناس من يضعف أمام المديح ويخادع نفسه.. يوهمها أنه بهذا المديح جدير. حتى إذا خلا بنفسه، وخلت به، أدرك الحق من صفاته.. وربما خُيِّل إليه أنه ذكى.. عرف كيف يمكر بالمادح، ويجعله يظن به هذه الصفات الكريمة التى أضفاها عليه!

بينما المادح المنافق يظن بنفسه هو أيضاً أنه واسع الحيلة جم الذكاء، وأنه لفّق المديح على الممدوح، وفاز منه بما قدر لنفسه من عطاء أو من مسألة أو من منفعة.

وكلاهما يعرف الحق عن نفسه، وعن الطرف الآخر. وكلاهما يخادع نفسه بقدر ما يخادع شريكه في السذاجة التي يظنانها خبثاً، وفي الهبل الذى يحسبانه ذكاء ومكراً وسعة حيلة وحسن وسيلة. ونحن اليوم في الموسم.. فحذار!

الناخبون لا تجوز عليهم حيلة، وليس يفوتهم من المرشحين نفاق أو افتعال. فقد كنت في بلدتنا غزالة منذ أيام، واجتمعت بأبنائها، فإذا هم كعادتهم ساخرون أذكياء، يعرفون الحق من الباطل، والصدق من الزيف. فالجموع لا تخادع نفسها وليس من اليسير أن يخدعها أحد أو جماعة. يقول أبناء بلدتي: إن جماعة ممن يدَّعون الحفاظ على الدين قد زاروهم في مواكب الأطباء، لأن كبيرهم طبيب. ويقول أبناء بلدتي: إنهم طالعوهم بالحق بما وجم له المنافقون.. أين كنتم.. وما مجيئكم اليوم فقط..؟

أمن أجل الانتخابات تمرون بنا لتوهمونا أنكم حريصون على صحتنا. وعلى مصالحنا. وأبناء بلدتي مسلمون، عميق إسلامهم، إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة لا تجد في شوارع القرية أحداً.. وكلهم صائم في رمضان.. وأغلبهم يصومون الاثنين والخميس من كل أسبوع، وكل من تجب عليه الزكاة يؤديها، وكل من استطاع

إلى الحج سبيلاً أدى الفرض. بل إن كثيرين من حجاج بلدتنا أرهقوا أنفسهم إرهاقاً شديداً ليحجوا إلى بيت الله الحرام. وبين بلدتنا من حج منذ قرابة ثلاثين عاماً على جمل وليس بالباخرة، لأنه لم يكن يملك أجر الباخرة، وهو الحاج حسن أبو عويضة رحمه الله.

فحذار أيها المرشحون.. حذار.. والتحذير موجه إليكم كلكم على جميع صنوفكم. إن الشعوب في غاية الذكاء، فلا تظنوا بأنفسكم ما ليس لكم حق من المكر والدهاء، فما ينطلي مكركم على الناخب، ولا يجوز ما تحسبونه دهاء على المجموع. ورحم الله عزيز أباظة حين قال:

شعور الشعب يا جعفر حق لا هوى فيه
له من وعيه الساذج مصباح فيهديه
يميز بوحي فطرته عداه من محبيه

حوارات معه

الحوار مع الكاتب أو الأديب أو الفنان، ليست مجرد أسئلة وأجوبة، ولكنه اكتشاف لعالم هذا الكاتب أو الفنان، أو السياسي.. وهو متعة لأنه يكشف أغوار من تحاوره.. فهو يتحدث عن حياته، وعن إنتاجه الأدبي، وعن الأمور التي أثرت في مجرى حياته، ومن هنا تكون هذه الحوارات بمثابة (البوصلة) التي تقودنا إلى ما في حياة من تحاوره من مواقف، ورؤى للحياة.

وإذا كان الحوار مع كاتب رواية، فمن الصعب أن نعرف الكثير من أمور حياته من خلال أعماله الأدبية، لأن هذه الأعمال لا تصور حياة الكاتب، وإن كان فيها انعكاسات لتلك الحياة، أو خيوط منها، ولكن لا يمكن الجزم بما يمكن أن تستنتجه أو تستخرجه من هذه القصص والروايات.

إلا إذا كان ما يكتبه الكاتب يندرج تحت ما نسميه (السيرة الشخصية).. وحتى مثل هذه الكتابات قد يخفي الكاتب الكثير من الجوانب عنها..

ومن هنا فإن الحوار الصريح، يكشف الكثير من الجوانب، وبقدر قدرة المحاور على استخراج الجوانب والرؤى الخفية في حياة الأديب أو الفنان، بقدر ما يكون ناجحاً عندما يكشف أغوار هذا الكاتب، من خلال الأسئلة الذكية التي لا تحتمل المراوغة.

ولأن هذه الأحاديث مباشرة.. وليس فيها اللعب بالألفاظ،

والاختفاء حول فصاحة اللغة بما فيها من تشبيه وكناية ومجاز، فإن الأديب من خلال الحوار لابد أن تعرف من خلال إجاباته.. من يكون، والدوافع التى دفعته إلى الكتابة، والموثرات التى أثرت فيها، وربما أيضاً تعرف خيوط الطفولة وما تركته من بصمات على صفحة حياته كما أن هذه الإجابات تعتبر تسجيلاً أميناً لكل ناقد يريد أن يعرف ما وراء إبداع هذا الأديب أو ذاك الفنان.

وإليكم بعض حواراتى مع الكاتب الأديب ثروت أباظة.

ثروت أباظة

أول قصة كتبها ثروت أباظة هي (ابن عمار) والذى يقرأ هذه القصة سوف تهزه فيها مأساة الصداقة، وأن الصلة عندما تشتد بين الصديقين تصبح حقوق الصديق على الصديق أكثر صدقاً.. فالذى كان يقبله (المعتمد) من غير (ابن عمار) لا يستطيع أن يقبله من ابن عمار..

وفى هذه القصة يتضح للقارىء أن النفس الرخيصة تحاول أن تصل إلى العرض العاجل دون بحث عن أعماق الشاعر..

ويمكنك أن تتصور إنساناً فى مكان ابن عمار لا يعنيه سلطة لأنه كان يصرف أمور المعتمد، ولكنه كان يريد أن يكون أميراً، ومن أجل هذا خان المعتمد.. وحين ظفر به المعتمد بعد هذه الخيانة أسرَّ إليه فى جلسة أنه سوف يطلق سراحه، ويشترط عليه ألا يذيع هذا السر.. ولكن ابن عمار لم يستطع كتمانه، وأخبر به صديقاً آخر فكان جزاؤه أن قتله المعتمد بيده.

ولكن المؤلف تعرض فيها لمأساة الملك الشاعر، لأن الذى يحتل وظيفة كبرى ويمارس الفن.. كل ما يسمعه عن إنتاجه الفنى ليس صحيحاً.. وكان هو يعلم ذلك.. فقد كان شاعراً بكل معانى الكلمة.. ولعله كان أشعر أبناء جيله.. وكانت المقارنة تُعقد بينه وبين ابن زيدون دائماً.

فالرواية مع أنها تاريخية إلا أن المؤلف حرك فيها كل هذه

العوامل دون اعتماد على هذا فى التاريخ، لأن من رأى المؤلف أن التاريخ عبارة عن مؤشر، أو على حد تعبير إسكندر ديماس:

«ما التاريخ سوى مجرد مسمار أعلق عليه روايتى».

وإذا تتبعت إنتاج المؤلف بعد ذلك فسوف تقف عند روايته «هارب من الأيام».. وفيها رسم بيئة الفلاحين، والجديد أنه رسم الفلاح لأول مرة كما هو، لا كما كان يصور فى الأعمال الفنية بأنه رجل طيب وساذج يسهل الضحك عليه.. بل صوَّر الفلاح على حقيقته إنسان على وعى تام بمصالحه وأنه ذكى بفطرته.

وهناك كلمة يعتز بها المؤلف قالها له الدكتور طه حسين بأنه خير من كتب عن الفلاح.

وتأتى بعد ذلك روايته «شيء من الخوف»، نرى فيها الرمز وهو الأساس، وهو لم يُعْن فيها برسم البيئة على أساس أنه تناول ذلك فى (هارب من الأيام).

ونرى المؤلف بعد ذلك يكتب عن البيئة الثرية فى مصر بحكم مخالطته لهذه الطبقة.. ويكتب عنها مصوراً حياتها على حقيقتها، وقد وضح ذلك فى روايته «قصر على النيل»، ثم «تشرق الشمس».. وقد كتب عنها عندما تعرضت هذه الطبقة للهجوم فحاول أن يرسمها على حقيقتها.

وبعـــد ذلك تقـــودنا رواياته إلى روايات ذات طابع فكرى أو

تناقش قضايا فكرية، وقد سيطرت عليه فى قصة «لقاء هناك» وفى «الضباب».

مثلاً فى «الضباب» يتناول مشكلة الأبوة والبنوة بحياد.. أما (لقاء هناك) فهى تدور حول فكرة الإلحاد وتصارعه مع الدين.

ثم يقدم لنا رواية «أمواج بلا شاطىء»، وقد استلهمها من الطبقة الأرستقراطية التركية، وقد حاول المؤلف أن يرسم الشخصية فيها وأن ينصفها من خلال ما أحاط بها من نسائيات. وهذه الرواية من الروايات المجردة التى ليس فيها فكرة مسبقة، وقد اتخذ فيها المؤلف شكلاً جديداً هو محاولة إشراك القارىء فى التفاصيل.. فالحوار هو الذى يدل على المتكلمين..

ثم هناك قصة «جذور فى الهواء» وقد صور فيها كيف تحطمت القيم تماماً بالنسبة للشباب فى الفترة السابقة، الذين صنعوا إلهاً من طين، وحين تحطم الإله ضاعوا.

ليست هذه بالطبع دراسة نقدية، ولكنها مجرد إشارة أصبع إلى أعمال الأديب الفنان ثروت أباظة.. مجرد إلقاء نظرة خاطفة على أعماله الأدبية حتى يعرفها القارىء بسهولة ويسر، وبقى أن أدخل مع الكاتب نفسه فى حوار من خلاله يستطيع القارىء أن يستشف فلسفته أو على الأقل نظرته إلى الأمور والحياة.

- أستاذ ثروت: هل تكتب من خلال نظرية فنية أو سياسية معينة؟

أجاب بسرعة :

- إذا كنت تعتبر الحرية نظرية ، فأنا أكتب من خلالها ، فأحب شيء إلى نفسي هو الديمقراطية . . أما إذا كان ذلك واضحاً في أعمالي الفنية أم لا . . فهذه مهمة أتركها للنقاد .

قلت له :

- الحرية كلمة فضفاضة . . يختلف معناها من نظام إلى نظام ، ومن فلسفة إلى فلسفة . . والحرية المطلقة فوضى ، والحرية المنظمة لها قيود . .

أى حرية تقصد ؟

قال :

- الحرية في نظرى كالحقيقة .

الحرية عبارة عن قانون يسرى على الجميع . . والحرية بلا قانون فوضى ، وأنا لست فوضوياً . . ومدى حرية الفن في ظل هذا القانون هي التى تكوّن شكل المجتمع .

ومفهوم الحرية أنها تعطيك الحق في عمل أى شيء لا يمس الآخرين ، إنما هناك نوع مضحك من الحرية كالذى وضعه معاوية ابن أبى سفيان فهو يقول مثلاً :

«نحن لا نحول بين المرء ولسانه ، إلا أن يحول بيننا وبين السلطان» .

فهذه ليست حرية لأن اللسان إذا لم يُقوِّم السلطان لا حرية له، فقد حاول أن يضع الدكتاتورية على شكل حرية.. وقد رفض التاريخ ذلك.

قلت له:

- أعتقد أن السياسة كمضمون سياسى واضح فى الأعمال الأدبية ابتداء من الأوديسا والإلياذة إلى الآن..

قال:

- الكاتب يجب أن يكون ابن عصره، وحقيقة العصر هى سياسته، فإذا انفصل كاتب ما عن السياسة.. فإنه بالتالى ينفصل عن حياة عصره، فلا بد أن تكون السياسة وراء كل ما يكتب الأديب حتى لو كتب كتابة اجتماعية أو إنسانية، لأنه حتى المعانى تتشكل بسياسة العصر.

فالحب فى أيامنا هذه غير الحب فى أيام مجنون ليلى، والحب حتى فى ذلك الحين كان متأثراً بالسياسة.. فى عصر الحب العذرى، ولعلك لا تنسى موقف الحسين بن على من مجنون ليلى والذى أشار إليه أمير الشعراء أحمد شوقى فى روايته الخالدة.. فأول كلام فى مجنون ليلى:

دار النبى كيف خلفتها   كيف تركت الأمر فيها يساس

ويرد عليها ابن ذريح:

تركتها يا ليل مضبوطة يحكمها وال شديد المراس
إن حديث الناس فى يثرب همس وخطو الناس فيها احتراس

وشوقى يصف كيف كانت السياسة تلعب دورها فى هذه الفترة التاريخية، بعمق وفهم أصيل، هذا الفهم الذى عبر عنه هذا التعبير الأخاذ، ونحن نسمع ابن عوف يصور ما يجرى فى قصور الحكام:

احرص جواسيس ابن هند وعيون ابن الحكم
نحن رجال دولة قوامة على الأمم
ليس بعينها عمى ولا بأذنها صمم
تسمع فى ظل القصور همس رعيان الغنم!!

وروايات كليوباترا، وقمبيز كلها سياسة، كذلك مسرحيات عزيز أباظة كلها كانت سياسية تستلهم الماضى وتلقى به على الحاضر، كذلك مسرحيات وروايات عبدالرحمن الشرقاوى.

قلت:

- ما دام الحديث قادنا إلى السياسة والأدب، فما رأى أديبنا فى المناقشات الفكرية التى تدور حول المنابر؟

قال:

- أنا فى تصورى أنها بذرة لا بأس بها لتكوين الأحزاب، ولكن إذا غرست فى أرض الاتحاد الاشتراكى، فمصيرها القتل الذى لا شك فيه!

تمر لحظة أسأله بعدها:

– لمن تكتب ؟

– لجيلي . . ؟

– لماذا تكتب ؟

– لا أدرى ، ولكن يخيل إلىَّ أننى لا أستطيع إلا أن أكتب ، الفترات التى تمر بى دون أن أكون منشغلاً بعمل كتابى أحس أننى غير موجود مهما يكن حجم مشاكلى الأخرى .

– ما الذى غرسته الطفولة فى مستقبل أيامك من الناحية الأدبية ؟

– تركت فىَّ الطفولة حباً جنونياً للأدب ، وأرجو أن تكون قد تركت البراءة ، فالبراءة شرط يكاد يكون أساسياً للفنان .

لقد نشأت ووجدت الأدب فى أجواء بيتنا كجزء من هوائه ، وكان أبى يجعلنى أجلس مع كبار أدباء العصر ، وأذكر أنه طلب منى أن أنشد شيئاً مما أحفظ ، وكنت فى السابعة من عمرى ، وحين انتهيت من إلقاء القصيدة وكان عنوانها الله . أذكر منها :

انظر إلى تلك الشجرة ذات الغصون النضرة

وحين انتهيت منها وجدت من يقول لى : «رفعت رأسى رفع الله رأسك» .

وإذا به الأستاذ الهوارى مؤلف القصيدة جالس مع أبى . .

– حتى تكون أكثر وضوحاً لو قلت لك ما هو الفرق بين «ابن عمار» ، وهى أول قصة لك ، وبين آخر رواية لك «جذور فى الهواء» ؟

- روايتى الأولى تاريخية.. الجهد الفنى فيها أوضح ما يكون فى الأسلوب الأدبى لا الروائى، وأحسب أن الفارق بينها وبين «جذور فى الهواء» آخر رواية لى كبير، حتى أظن أنه لو قرأ شخص الروايتين دون أن يعرف كاتبهما لظن أنهما لكاتبين مختلفين.

- هل تعتبر العمل الفنى من قبيل المحاكاة أم الخلق؟

- العمل الفنى خلق، والمحاكاة تبتعد عن الفن.

- هل تتابع آخر موجات الأدب العالمى؟

- طبيعى أن أتابع موجات الأدب العالمى، وأعتقد أن كل النظريات التى ذكرتها لى الآن عن أدب الساخطين والرافضين، واللامعقول سيبقى منها شيء هين يثرى النظرية الأصلية للفن الواقعى.

- هل عبَّر الأدب المصرى عن واقع المجتمع المصرى؟

- الذى لا شك فيه أن هناك أدباء عبروا عن واقع المجتمع المصرى ولكن ليس كل الكُتَّاب يشتركون فى هذا التعبير، كما أن الواقع كله لم يمثل، فما زال جزء كبير منه لم يتعرض لما يستحقه من تعبير..

- ....

- تسألنى عن آمالى وأحلامى.. ما تحقق وما لم يتحقق منها، لعل هذه الأبيات تجيبك:

هـل رأيـت الـراكـض المجـنـون   ن يـعـــــدو خـلـف ظـلـه
جـاهداً يسـبـقـه الظـل   ويـغـريـه بـنـيـلـه
هـو منـه خـطـوة لـكـنـهـا كـالكون كله
هكذا الإنسـان في الدنيـا   ضـليـلاً خلف عـقـلـه
كـلـمـا زاد عـلـومـاً   زاد إيمـانـاً بـجـهـلـه

- الحديث عن قضايا الفكر يقود الإنسان إلى سؤال عن الإيمان والإلحاد.. فهل مررت بهذه المشكلة؟

- لم تمر بى مشكلة الإلحاد ولكن مارستها مع كثيرين من أصدقائى كان إيمانى دائماً إيماناً مطلقاً.. وقد مررت بلحظات شك.. ولكن لا أنسى كلمة للمرحوم عبدالحميد جودة السحار.. إن الشك هو أول درجات اليقين، إن ما مر بى مجرد لحظات وليست فترات.

- هل تقرأ القرآن؟

- طبعاً.. والإعجاز الأسلوبى فى القرآن شىء قاطع.. إنه لا يتأتى إلا لخالق السموات والأرض، وقد مر عليه أربعة عشر قرناً لم يستطع شاعر أو ناثر أن يقترب من أسلوبه. وسوف تقرأ لى كتاباً تحت الطبع الآن عن السرد الفنى للقرآن الكريم، تناولت فيه الإعجاز فى السرد حيث نرى أحدث النظريات فى فن القصة موجوداً فى القرآن لدرجة أن فيه «المونولوج الداخلى» فى حوار سيدنا إبراهيم مع قومه عن الأصنام. وهو لم يظهر إلا منذ سنوات قليلة فى القصة العالمية!

لثروت أباظة رأى فى التراث فهو لا يرى أن التراث عبء على الحاضر بل العكس هو الصحيح، بمعنى أن الحاضر لم يستطع أن يستخدم التراث اللائق به، فاللغة تضمحل دون أن تحل محلها لغة أخرى. مثلاً ترى فى انجلترا أن لغة شكسبير انقرضت، ولكن وجدت لغة أخرى جميلة، بينما عندنا انقرضت اللغة الجميلة دون أن تحل محلها لغة أجمل، فنحن عبء على التراث لأننا ننتسب إليه دون أن نستلهمه!

- لو قلت لك أعطنى تعريفاً سريعاً عن هذه المفاهيم.. بماذا تجيب؟

- المرأة؟

- بدونها تسقط الحياة.

- الحب؟

- دماء الحياة ونبضها ومعناها.

- الزواج..؟

- الجذور الثابتة فى أرض الحياة.

- الجمال؟

- اعتذار الحياة عن كل الحياة..

وأسأل ثروت أباظة أن يقول رأيه فى أدبائنا ومفكرينا، على أن تكون إجابته عن كل منهم فى سطر واحد.

- نجيب محفوظ..؟

- منشيء القصة الحديثة فى الأدب العربى.

- يوسف السباعى..؟

- صاحب أمتع سرد بين القصاصين.

- إحسان عبد القدوس..؟

- إن خرج من نادى الجزيرة يصبح كالسمك من غير الماء.

- يوسف إدريس..؟

- يا ليته لا يكتب القصة القصيرة.

- أنيس منصور..؟

- فنان يسيطر عليه العقل.

- عبدالرحمن الشرقاوى..؟

- صوت مرتفع فى أسلوب مشرق.

- مصطفى محمود..؟

- عرف طريقه وأصبح فيه رائداً.

- عبدالحليم عبدالله..؟

- عميد الرومانسية فى القصة المصرية.

- عبدالحميد جودة السحار..؟

- إيمان وفن.

.. وإلى هنا ينتـــهى الحـــوار مع ثروت أباظة الذى لخص رحلة حياته بقوله:

- أنا شخص حر.. وأرجو أنا أظل كذلك.

رحلة في عقل ثروت أباظة

عرفت الكاتب الكبير ثروت أباظة منذ أكثر من ثلاثين عاماً . . لم يتغير . . لم يغيره منصب أو مكانة اجتماعية ، عرفته أولاً من خلال رواياته ، ثم توثقت علاقتى به كأديب وإنسان قدم للحياة الثقافية العديد من الأعمال الروائية المرموقة التى أشاد بها كبار النقاد والمفكرين ، كما أن للرجل دوره السياسى الذى أثار البعض ضده وتعاطف البعض معه . . وسواء وافقته على آرائه أو عارضتها . . فلا تملك أن تصادر حرية هذه الشخصية فى أن تقول ما تعتقد . . كما أن احترام آراء الآخرين حتى لو لم توافق كل الميول من الصفات السوية لأى مجتمع سوى . .

واليوم أحاول الإبحار فى عالم ثروت أباظة لرسم صورة واضحة المعالم والقسمات لفكره وشخصه من خلال ما قرأته له . . ومن خلال حواراتى معه أيضاً . .

قلت له : من أبسط مبادىء علم النفس أن الشخصية تتكون ملامحها الأساسية فى سنوات الطفولة ، فما الذى تركته طفولتك من بصمات على مستقبل أيامك ؟

- قال : الحقيقة إن طفولتى علمتنى حب الناس والأنس بهم . . كما أننى لا أرهب منصباً لأننى قابلت كل الفئات وخالطت جميع الطبقات . . لذلك بحكم كونى ابن (الدسوقى باشا أباظة) . . وأنت تعرف أنه كان عضواً فى مجلس النواب . . وهذه الصفة تجعله

يختلط بكل الطبقات.. وكان له صالون فى القرية.. ولم يقفل بابه أمام أحد.. وهو غير قابل للإقفال ما دام مفتوحاً.. حتى أنه إذا أراد أن يكلم أحداً كلاماً شخصياً صحبه إلى غرفة أخرى..

● ولكنك من عائلة تجمع بين احتراف السياسة وهواية الأدب.. ما أثر ذلك على حياتك؟

- كان من أثر التأثير الأدبى والسياسى فى ظل المناخ الذى عشت فيه منذ طفولتى.. أن وصلت إلى أن أكون وكيلاً لمجلس الشعب وكاتباً فى الأهرام.. وهذا نتاج الحياة الأدبية والسياسية التى عشتها..

● أعرف من خلال قراءتى لسيرتك الذاتية أن العقاد كتب عنك وتنبأ بأنك سوف تكون أديباً، فهل عرفت العقاد أولاً أو طه حسين؟

- عرفت العقاد أولاً وبعد ذلك طه حسين..

والعجيب أن أستاذنا العقاد هو أول من نوه بى، وكان ذلك حين جمع الأستاذان أحمد عبدالمجيد الغزالى والعوضى الوكيل مقالات أبى وخطبه فى كتاب أسمياه (وميض الأدب بين غيوم السياسة).. وظهر الكتاب فى عام ١٩٤٨ وكنت فى هذا الحين قد بدأت أكتب مقالاتى فى مجلتى الرسالة والثقافة، ولكنى طبعاً كنت ما أزال صغيراً لا يكاد يعرفنى إلا الأدباء المتخصصون.. وقد اتجه الشاعران الأستاذان الغزالى والعوضى إلى أستاذهما وأستاذنا العقاد وطلبا

إليه أن يكتب مقدمة للكتاب الذى جمعاه من أعمال أبى الأدبية.
وقبل رحمه الله ذلك ولكن المفاجأة الكبرى بالنسبة لى هى قوله فى المقدمة حين تكلم عن صلة العائلة الأباظية بالأدب:

«وناهيك بما نقرؤه لفكرى وعزيز وثروت من رصين الشعر وطريف المنشور»..

ويقول ثروت أباظة ملقياً الأضواء على هذه اللفتة من الأستاذ العقاد:

«وقد اعتبرت ذكر اسمى فى هذا المكان وما زلت أعتبره من أعظم الأوسمة التى نلتها حتى اليوم..

فقد كنت فى المطالع الأولى من شبابى وأن يُقرن اسمى بالعملاقين الأباظيين عمى فكرى باشا وعمى وحماى فيما بعد عزيز باشا أمر اعتبرته مفخرة كبرى ولا زلت أعتبره كذلك»

والحديث عن العقاد يمتد ونذكر واقعة وقعت بينه وبين الأستاذ العقاد عام ١٩٥٤ .. وكانت هذه السنة سنة حاسمة فى تاريخ ثورة يوليو..

يقول ثروت أباظة: سمحت السلطات فى مارس من هذا العام (١٩٥٤) بحرية الصحافة وأتاحت لكل صاحب رأى أن يكتب رأيه، وطلبت أن يقول ما يشاء لمن يشاء.. وكان أهم سؤال طلبت الثورة الإجابة عليه إن كان الأفضل لمصر أن تكون الجمهورية فيها برلمانية أم رئاسية؟..

وانبـرى العـقـاد بمقـال كـتـبـه فى (الأخـبـار) يطالب بـأن تكون الجـمـهـورية برلمانيـة، ولكن المقـال كـان فى غـاية العنف رافـضـاً كل ألوان الدكتاتورية أو الحكم العسكرى. وفى نفس اليوم الذى ظهر فيـه المقـال كـان لى عـمل فى الإذاعة القـديمة فى شـارع الشـريفين.. وفوجـئت وأنا أدلف من البـاب الرئيسى للإذاعـة بأسـتـاذنا العـقـاد يهبط السلم وحوله جـماعة من محبيه ومـريديه ومن موظفى الإذاعة الذين حرصوا أن يكونوا فى توديع العملاق العظيم..

وقال لى أستاذنا:

- لقد قرأت مقالاتك؟

وكنت فى هذه الفـتـرة كـتـبت مـقـالات بنفس العنف والرفض للديكتاتوية فقلت له:

- هذا شرف لها ولى..

- فقال:

هل قرأت مقالى اليوم؟

- فقلت: طبعاً مثلما أقرأ كل حرف يخطه قلمك..

- أرأيت لقد قلت لهم...

ومضى يذكر أهم العناصر ضغط ضغط عليها فى مقاله..

ومضيت أنا أقول: نعم..

حتى إذا سكت قلت له:

- سعادتك تسمح لى بكلمة على انفراد . .

فلفَّ ذراعه بذراعى ومضينا ننتحى جانباً بشارع الشريفين وقلت له :

- سعادتك تعرف أن وراءك جواسيس . وكنت قد عرفت ذلك فعلاً فإذا الرجل العملاق يقول :

- نعم أعرف وتليفونى مراقب أيضاً !

فقلت له : سعادتك الآن لا تحتمل السجن الذى احتملته عام ١٩٣٠ كما أن السجن الآن نوع آخر غير الذى عرفته . .

ونحن أبناؤك دعنا نحن نسجن وقل لنا ما تريد كتابته وأَمْلِه علينا إذا شئت نوقعه بأسمائنا ولكن من أجلنا نحن أبناءك إن لم يكن من أجل نفسك لا تُعرِّض نفسك لهؤلاء الوحوش فنظر إلىّ ملياً وصمت لحظات ثم قال :

- أترى ذلك . .

قلت :

- ألا ترى أنت ذلك . .

قال :

- لا بأس . .

ولا أعتقد أنه كان سينفذ الوعد ولكن على كل حال أنقذه من نفسه انتهاء فترة الحرية ، ومنع كل الكتابات الحرة مهما تكن هينة الشأن وإغلاق جريدة المصرى والاستيلاء عليها وعلى أموالها .

قلت له : الحديث عن الأستاذ العقاد يدفعنا إلى الحديث عن الدعوة التى رفعها عليك وما زلت لم تبلغ من العمر سوى عام . . فما هى هذه الحكاية ؟

- ابتسم الأستاذ ثروت أباظة وهو يتذكر هذه الواقعة . .

قال : كان العقاد يهاجم محمد محمود باشا ، وكان محمد حسين هيكل باشا رئيساً لتحرير السياسة لا يحب الخصومة مع العقاد . .

وكانت مقالات الأستاذ العقاد عنيفة حتى أنه وصف محمد محمود بالشقى محمد محمود ، ثم كتب مقالاً آخر بعنوان الشقى رقم كذا وكأن محمد محمود أصبح من نزلاء السجون الذين يُعرفون بأرقامهم . . وضاق محمد محمود بهذا الهجوم . .

وردَّ أبى على ما كتبه العقاد . . وكان أبى يوقع مقالاته عادة بتوقيع (الغزالى أباظة) ولكنه فى هذه المرة اختار أن تكون مقالاته ضد العقاد بعنوان (ثروت) وكان عمرى فى ذلك الحين سنة واحدة . فقد كانت هذه المساجلة عام ١٩٢٨ ، وظهرت المقالة الأولى ثم الثانية فإذا بالعقاد يتوقف عن مهاجمة محمد محمود ويلجأ للمحكمة رافعاً الدعوى على محمد حسين هيكل باشا رئيس تحرير السياسة التى نشرت المقالين وعلى (ثروت) صاحب التوقيع . .

وضحك الدكتور هيكل من فكرة تقديمي إلى المحكمة وقال لأبي :

- عليك أن تحمل ثروت على كتفك وتأتي به إلى المحكمة . .

وكتب أبي بعد رفع الدعوى مقالة ثالثة يُنهي بها هجومه على العقاد . .

ويقول الأستاذ ثروت أباظة : وأذكر أنني ذهبت إلى الأستاذ العقاد وأنا في مطالع الشباب حوالي عام ١٩٤٥ ، وقدمني إليه تلميذه العوضي الوكيل فما أن سمع إسمي وعرف من أنا . . حتى ضحك ضحكته العريضة النقية وقال وهو يرحب بي . .

- بيني وبينك ثأر قديم يا عم ثروت . . ولقد صار العقاد بعد ذلك من أحب الناس لي ولأبي ، حتى أنه نظم في أبي عدة قصائد . . يقول في مطلع إحداها :

نكرمه . . نكرمه . . وما نرويه نعلمه

ولم ننشيء له فضلاً ولكنا نترجمه

نتابع رحلة الذكريات والآمال مع الكاتب الكبير ثروت أباظة . . إنه إبحار فى عالم هذا الأديب الروائى والسياسى . . والوقوف عند أهم (المحطات) فى حياته . . إن حديثه فى الأدب والسياسة هو تسجيل لظروف أدبية وسياسية مرت بها مصر بما فيها من قادة وزعماء ورؤساء وأدباء ومفكرين . . تعطى صورة لمصر . . وملامح لفترة تاريخية لها مؤثراتها بلا شك على أقدار هذا الوطن .

سألته هل تعتبر نفسك صحفياً ؟

– أجاب : لا أظن . . لأن الصحفى يهتم بالأخبار أو بالأحاديث ويقدمها للصحيفة التى يعمل فيها . . وأنا لم أتجه هذا الاتجاه ولو أنى عضو فى نقابة الصحفيين منذ عام ١٩٥٨ .

ثم يتحدث الأديب الفنان عن عمله بالصحافة فيقول :

ذهبت إلى عمى فكرى باشا أباظة وقابلت إميل زيدان وتم تعيينى فى دار الهلال فلم أمكث محرراً بالمصور إلا نصف ساعة ، ولم تكن الصحف قد أممت طبعاً والذى حيرنى أننى أعطيت مقالة لرئيس القسم الذى سأعمل معه ، فوجدته يبدى ملاحظات تدل على أنه لا صلة له مطلقاً لا بالأدب ولا بالصحافة . وأدركت أننى كل يوم سأظل رائحاً غادياً بين مكتبى ومكتب عمى فكرى باشا لأكلمه فى الخلافات التى لا شك ستقع بينى وبين رئيس القسم الذى أعمل معه ، والتردد على رئيس التحرير إذا جاز لكل المحررين والكُتَّاب فإنه لا يجوز لشخص هو بمثابة ابن أخى رئيس التحرير . .

فخرجت من دار الهلال إلى لا عودة، وإن ظللت أمدها بقصصى القصيرة من الخارج.

وطبعاً بعد أن أممت الصحافة أصبح تعيينى أمراً مستحيلاً. ولكننى ظللت أكتب من الخارج، وكان من أعظم من أتاح لى فرصة الكتابة أخى وصديقى الراحل فتحى غانم فقد أفسح لى صفحة أسبوعية فى الجمهورية كتبت فيها مقالاً عن الشيوعيين بعنوان (من خلال مجهر) صدرت بعدها الأوامر إلى فتحى غانم ألا أكتب عنده مطلقاً. وقد أبى الرجل العظيم أن ينفذ الأمر وطلب إلىَّ أن أكتب فى غير السياسة، وكانت هذه منه جرأة فائقة تمثلت فى هذه الشخصية الفذة، وتكرر منه هذا الموقف الجرىء المشرف حين نشر لى روايتى (شىء من الخوف).

قلت: بالمناسبة.. ما قصة الاعتراض على فيلم (شىء من الخوف).. وكيف سُمِح به بعد أن اعترضوا عليه على أساس أن به ما يمس الرئيس الراحل جمال عبدالناصر؟

– قال: لقد رآه الدكتور ثروت عكاشة ومعه عبدالمنعم حسن وعبدالمنعم الصاوى.. وفى نصف الفيلم أثناء العرض كان ثروت عكاشة على موعد، فذهب إلى الميعاد، وأُكمِل الفيلم.. وفوجىء الوزير بالوكيلين يقولان: هذا الفيلم لا نستطيع السماح بعرضه، ولا بد أن يعرض على الرئاسة، وبعثوا به إلى سامى شرف فقال: أنا لا أفهم شيئاً فى هذه الأشياء، وعرضوه على الرئيس جمال عبدالناصر فقال: لو أنا بطل هذا الفيلم لكان الشعب ضعيفاً

وصــرح بعــرض الفــيلم، ولذلك لم تـنظر الرقـابة للفــيلم، لأن عبـدالناصـر طلب عرضـه بلا حذف منه، وكـان الوزير قد سـمع من أحد المنافقين أن المقصود به جمـال عبـدالناصـر فأحـاله الوزير إلى نجيب محفـوظ، وكـان نجيب مستـشـاراً للوزير ذلك الحين.. وكـان تقرير نجيب محفوظ أن هذا الفيلم وطنى.

وبعـد رأى نجيب محـفـوظ رأى الوزير الفـيلم، وقـد تدهش أن الوكيلين للوزارة صدر ضدهما أوامر عقابية.

وأذكر أننى حين شاهدت الفيلم فى عرض خاص هاجمـه أحد الشيوعيين، فقلت له: كل من يضفى على هذا الفيلم مغزى يكون من داخله ولا شأن لى بدواخل النفوس من معانى الإسقاط.. فكان الشيوعيون يشتموننى ويشتمون الفيلم.

وبعـدها قـابلت وزير الثـقـافـة ثروت عكاشـة وقلت له: نحن إقطاعيون.

قال: هناك فنانون مثلك ومثل فكرى أباظة.

قلت: إننا إقطاعيـون لأن الناس يحبوننا ولن يستطيع أحد أن يمنع الناس من حبنا.

قلت له: أستـاذ ثروت.. البـعض يحبك باعـتبـارك أديبـاً لك رؤيتك فى مـخـتلف الأمـور.. والبـعض الآخـر يكرهك.. فـمـا انطباعك بين من يحبونك ومن يكرهونك؟

- قـال: الذين يحبـوننى أشكرهـم.. والذين يكرهوننى شىء

طبيعى لأننى أهاجم الشيوعية والناصرية والإرهابيين من الإخوان. فلا بد أن أنصار الجهات الثلاثة يقفون منى موقفاً عدوانياً ولكنهم لا يناقشوننى ويكتفون بالسب.. ومن هنا فأنا مُصر على تقديمهم للمحكمة لأن السب ليس نقاشاً ولكنه عجز.

وغير هؤلاء من المصريين المخلصين والمتدينين وأصحاب الإيمان العميق يحبوننى.. ولقد حاول الشيوعيون والناصريون أن يوقفوا توزيع كتبى. وأظن أنهم لم يفلحوا بدليل أن الناشرين يقبلون على كتبى لأن الناشر لا يقبل على نشر كتاب إلا إذا ضمن أنه سيعود عليه بالربح، وهذا الدليل يكفينى على أن الشيوعيين خابوا فى مسعاهم.

وصمت قليلاً وقال: وأنا سعيد بأصدقائى سعادتى بأعدائى لأن أصدقائى أنصار الحق.. وأعدائى أنصار الباطل.

قلت له: لنقف قليلاً مع الإبداعات الأدبية، قبل الدخول فى المسائل العامة.. فقد كتبت رواية (غفران) واستلهمت أحداثها من قصة يوسف عليه السلام، ورواية (طارق من السماء) واستلهمت أحداثها من قصة موسى عليه السلام، كما أن (خشوع) مستلهمة من السيرة النبوية.. هل هذا صحيح؟

- نعم.

لماذا؟

- استلهمت من القرآن الكريم لأننى أردت إبراز الصور الفنية فى حياة أنبياء الله ووددت أن أقول إن هؤلاء الأنبياء.. كانوا يحملون

رسالة فى الحياة استلهمت حياتهم، وقوبل هذا من القراء بترحاب كبير.

ألاحظ أنك فى مقالاتك تستشهد بأبيات من الشعر الرصين، ولكن لم تستشهد قط بشيء من الشعر الحديث.. لماذا؟

- لأننى لا أعرف الشعر الحديث، وأراهنك أن يستطيع أحد أن يستدل به، وأغلب الشعراء الذين يقولون الشعر الحديث لا يحفظون قصائدهم.. لأن الشعر وزن وقافية، فإذا تخلى عن هذا الكلام أصبح بعيداً كل البعد عن الشعر. وأضرب لك مثلاً..

لا شك أن نزار قبانى من أعظم الشعراء، وأن أم كلثوم أعظم مغنية، وعبدالوهاب أعظم موسيقار.. الثلاثة اشتركوا فى أغنية من الشعر الحديث (فى يدى بندقية).. فلم يطلبها مستمع فى حياته فيما يطلبه المستمعون، وهذا وحده دليل يكفينى على أننى فى الطريق الصحيح.

هناك من يرى أن مستقبل الرواية سيكون مجرد أداة لأعمال درامية فى المستقبل.. فهل ترى ذلك؟

- الفترات الزمنية بين صعود وهبوط.. وظهور التليفزيون وأشباهه لا شك أثر على القراءة بما فيها الرواية والذى لا شك فيه أن الرواية ستعود إلى مكانتها مرة أخرى، وربما يكون الوسيلة إلى ذلك التليفزيون الذى كان وسيلة لهدمها.. وأرجو الله ألا يضيف إليها المعدون من عندهم، لأن الروائى كاتب روائى، والمعد كاتب درامى، فإذا أضاف إليها من عنده يضيف شيئاً من التشويه!

بمناسبة الحديث عن الرواية وما كتبه عنك الدكتور طه حسين، مما جعلك تبرز إلى الصفوف الأولى من كتاب القصة.. فما قصة معرفتك بعميد الأدب العربى؟

- علاقتى بالدكتور طه حسين بعد وفاة أبى، لأنه قال كلمة تأبين أبى وأذكر أن الدكتور هيكل باشا دعاه لحفل التأبين وكلّمه وقال: يا طه وقد ذعرت أن يقول له يا طه! ولكن عرفت أن محدثه هو هيكل باشا. ورد طه حسين بأن عنده محاضرة وسوف يلغيها.. وجمعنا كلمات التأبين فى كتاب وذهبت إليه، وأخذت معى كتابى (ابن عمار) وأهديته له.. وبدأت الصلة من هنا.. وقدمت له كتاب (هارب من الأيام).

وقد قال طه حسين:

- الحق أنه لم يُكتب فى تاريخ الأدب العربى عن الريف المصرى مثلما كتبتَ أنت فى روايتك (هارب من الأيام)..

وقال لى عميد الأدب عندما زرته مع أمين يوسف غراب وهو يودعنى:

- لا تحسب أننى سأمدحك حين أكتب عنك، ولكن سأشد أذنك.

فقلت والفرحة تزيد قلبى خفقاً:

- مرحباً بكل ما يأتى منك يا معالى الباشا.

وما هى إلا أيام حتى طلبنى محرر من الجمهورية يريد منى صورة

ليضعها في المقال الذى كتبه عن روايتى د . طه حسين وسارعت بالصورة إلى الجريدة .

ولم أنم هذه الليلة حتى الصباح ، وبكَّرت إلى الجمهورية وقرأت المقال ، فوجدت المقالة الكبيرة التى كتبها د . طه ووجدته يأخذ عليَّ أن فئة تتظاهر بأنها تأخذ من الأغنياء لتعطى الفقراء ، بينما تستولى هى على الجانب الأكبر مما تسلبه ، قال د . طه : هذا ليس فى حياتنا وإنما كان أيام العرب . أما باقى المقال فكان مديحاً لى ما زلت أشعر بالزهو أننى نلته من الأستاذ الذى أعتقد أن الأدب العربى الحديث قد تخرج على يديه .

وقال ثروت أباظة :

انتظرت حتى أصبح الوقت مناسباً ، وفى الساعة العاشرة كنت أقف على (باب - رامتان) وهو اسم الفيلا التى كان يقطنها الدكتور العميد ، وكان جالساً فى مكتبه واستقبلنى وهو يقول :

- إذن أنت لم تزعل منى ؟

- أزعل ؟ بل أسبح فى بحور من السعادة .

وصمت قليلاً وقال :

- ثروت ماذا تقصد بروايتك ؟

- لقد قلت لى معاليك أننى قلت ما أريد عن طريق الرواية .

- لا شأن لك بما قلت . . أخبرنى أنت ماذا تقصد ؟

- أرسم عهد الطغيان الذى نعيش فيه .

- نعم هذا ما فهمته .

- إذا لم تفهمه أنت فكأننى ما كتبت شيئاً على الإطلاق .

- ثروت اسمع . . أستحلفك برحمة والدك وإنى أعرف مدى حبك وإكبارك له، وبحياتى وأنا أعرف مكانتى عندك ، ألا تخبر أحداً بهذا الذى تقول ، ولقد قصدت أن أموه فى مقالتى ذاكراً صعاليك العرب وما إلى ذلك ، حتى تقول إذا ما سُئلتَ بصفة رسمية إذا كان طه حسين لم يفهم أننى أهاجم العهد فكيف تفهمون أنتم هذا المعنى ؟

ولهذا كتبت ما كتبت من نقد لك لأتظاهر بأننى لم أفهم المعنى الذى قصدت إليه فى روايتك . يا ثروت نحن نُحكم بجماعة ليس لها حدود فى الظلم والطغيان ، والله وحده يعلم ماذا هم صانعون بك إذا تبادر إلى ذهن أحدهم المعنى الذى تدور حوله روايتك .

ويقول ثروت أباظة معقباً :

وتأثرت بحديث الدكتور طه كل التأثر ، وكنت فى ذلك اليوم متوجهاً إلى غزالة لبعض شأنى فما إن وصلت إلى البيت فى البلدة حتى بادرت بكتابة خطاب للدكتور طه أقول فيه ما معناه . إنك بما كتبت عنى أثبت إسمى فى سجل الكُتّاب ، وهذا أمر ربما كانت الأيام لا تستطيع أن تصل بى إليه فى قابلها مهما يكن هذا القابل بعيداً . . أما الحديث الذى دار بينى وبين معاليكم فقد وهب لى أباً بعد أن فقدت أبى ، وهذا ما أثق أن الأيام أعجز عن أن تقدمه إلىّ . .

الإبحار فى عالم ثروت أباظة هو إبحار فى عالَم أديب فنان عشق الأدب والسياسة، وعاش فى بيئة تعشق الأدب والسياسة، وكان لأسرته دور سياسى وأدبى قبل الثورة وبعدها..

وهنا تكمن المتعة فى هذا الحوار الذى يعطى صورة لعصر، وشهادة لعصر من خلال أديب مفكر فنان.. وقد تختلف الرؤى.. وقد نختلف معه فى هذه الرؤى، ولكن اختلاف الرؤى يقربنا إلى الحقيقة.. حقيقة عصر بانتصاراته وهزائمه.. بطموحاته إلى القمة أو نزوله إلى السفح.. وفى كل الأحوال نقترب من ملامح الصورة..

نتابع مع أديبنا رحلته مع الفن والأدب والسياسة.. وأسأله عن علاقته بأدباء جيله؟

يجيب: علاقتى بأدباء جيلى علاقات أخوة وأبوة.. وأنا جيلى فتحى غانم ويوسف الشارونى، ولكن الناس يعتبروننى من جيل نجيب محفوظ ولكنه أستاذى، وعلاقته بى معروفة كذلك كل المعرفة.. وعلاقتى بيوسف السباعى معروفة.. وعلاقتى بإحسان عبدالقدوس كانت طيبة ولكن لم تكن مثل علاقتى بيوسف السباعى أو نجيب محفوظ، وكذلك علاقتى بتوفيق الحكيم من الجيل السابق علىَّ وعلى نجيب محفوظ.

كيف عرفت نجيب محفوظ؟

- نجيب عرَّفنى به مدرس صديق هو الأستاذ فؤاد نويره - رحمة

الله عليه ـ صحبنى إليه فى جلسة بالأوبرا، ثم كتبت بعد ذلك عن روايته (القاهرة الجديدة) المشهورة (بالقاهرة ٣٠) .. وكتبت عن الثلاثية وبنيت فكرة (شىء من الخوف) وأنا أسير معه فاستحسنها وكان من أصحاب الفضل فى ظهورها فى السينما.

ونمضى مع الكاتب ليحدثنا عن معرفته بتوفيق الحكيم وأنه كان فى إحدى الندوات وفيها الحكيم.. كان ثروت يتحدث مع المدير الإدارى لمجلة الثقافة ليطمئن على مقالة أرسلها للمجلة.. ورآه الحكيم الذى عاجله.

هل أنت ثروت أباظة؟

قلت: نعم يا سعادة البك أنا هو.

قال: أنا سعيد بروايتك فى الإذاعة جداً. لدرجة أننى حين أقرأ فى البرنامج أن لك رواية أمكث فى البيت ولا أخرج.

ويقول ثروت أباظة:

للقارىء أن يتصور ذهولى وفرحتى فى تلك اللحظة ولم أجد شيئاً أقوله إلا:

- أصحيح هذا الذى أسمعه.. أنا يخيل إلىَ أننى أحلم.

فقال فى بساطته المعهودة:

- لا والله فعلاً

قلت: إذن هذه الروايات تستحق أن تُجمع فى كتاب.

لماذا تهاجم عبدالناصر وتتعاطف مع السادات؟

- أنا مندهش أن يكون هناك أديب لا يكون له هذا الرأى..

رجل اعتدى على كرامة الإنسان، ورجل حقق النصر..

طبعاً أنا متعاطف مع السادات، ورافض لحكم عبدالناصر لأنى مصرى.. وليس هناك مقارنة.. السادات صاحب الحرب والسلام..

ما رأيك فى حكم الرئيس محمد حسنى مبارك؟

- حسنى مبارك أعظم رئيس حكم مصر فى التاريخ..

و.. يسترجع شريط الذكريات..

- كنت أنا وعبدالفتاح الشناوى وعبدالرحمن الشرقاوى ومحمد محمود بك، وعبدالمجيد باشا بدر، ود. محمد هاشم باشا وآخرون نقضى فترة الظهيرة من رمضان فى مقهى صغير مواجه للبنك الأهلى، وكنا جميعاً صائمين، فكنا ندفع أثمان طلبات لا تُقدَّم إلينا ولكننا نبرر بها وجودنا فى المقهى، وكنا نظل نتحدث فى شتى الأمور حتى يقترب موعد صلاة العصر فنقوم ونستقل سياراتنا إلى واحد من المساجد الكبرى بالقاهرة أو نتجه إلى مسجد أثرى ونقيم الصلاة جماعة، ثم نتمشى فى الحى بعض الوقت ويكون المغرب قد آن بالأذان فنتجه إلى بيوتنا قبيل الإفطار بدقائق..

وفى أوائل أكتوبر فوجئنا بقرار من الرئيس السادات برفع الحظر عن أسمائنا وإعادة أعضاء الاتحاد الاشتراكى إليه.. وفى

العاشر من رمضان سمعنا نبأ الحرب ونحن مجتمعون بالمقهى وتولانا جميعاً الذهول.. ولا أخفى أننى أُصبت بهلع لأن مصر لم تكن تحتمل هزيمة أخرى، ولا يعقل أن جيشاً هُزم هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ يستطيع بعد سنوات ست أن يقلب الهزيمة إلى نصر.. ولكن المعجزة الإلهية تحققت على يد القائد العملاق الخالد أنور السادات، وبمعاونة رئيسنا العظيم حسنى مبارك أطال الله عمره وأيده..

ويقول ثروت أباظة:

- ما كان أهون ما عاقبنا عليه أنور السادات! لو وقع منا هذا الذى فعلنا فى عهد الرئيس السابق عليه لكان الموت أقل ما يواجهنا..

وأذكر فى هذه المناسبة أن صديقاً لى من الكُتاب اقترح علىَّ بعد هزيمة يونيو أن نكتب بياناً ندعو فيه رئيس الجمهورية إلى إعادة الحرية لمواجهة عواقب الهزيمة، وتحمست لهذا الاقتراح وكتبت البيان ووقَّعته، فكان أول الناكصين عن توقيعه الكاتب الذى اقترحه.. ولم يوقع معى البيان إلا نجيب محفوظ وحده وأبى جميع الكُتاب التوقيع.. ولن أذكر أسماء الذين عرضت عليهم التوقيع.. وطبعاً لم أرسل البيان..

وبعد فترة عرَّفنى خالى مدحت بالسيد بك مرعى، وقد وجدت

فيه إنساناً غاية فى الرقة والعذوبة، كما وجدت فيه سياسياً حاذقاً متمرساً..

وأبلغنى السيد مرعى أن الرئيس السادات معجب بما أكتب، واقترح خالى مدحت أن الأوان قد آن لأعين بمكان ما فى الصحافة، وقد وجدت الفكرة ترحيباً من السيد مرعى، وأبلغنا بعد ذلك أن الرئيس أيضاً يرحب بالفكرة.. وبعد قرابة سنتين علمت من السيد مرعى أن الرئيس سيأمر بتعيينى فى مجلة الإذاعة والتليفزيون كرئيس لمجلس إدارتها..

و.. قد عُيِّنت رئيساً لمجلس إدارة مجلة الإذاعة والتليفزيون وقد وقَّع قرار التعيين يوسف السباعى..

ويتذكر ما قاله له مصطفى أمين عن عمله بالإذاعة والتليفزيون أنه جعل من الفسيخ شربات..

ويتابع الرجل رحلة الذكريات:

- وحدث أن كتب الأستاذ جلال الحمامصى مقالاً شكك به فى نزاهة الرئيس الأسبق، ووقف السادات فى خلق الفلاح الأصيل يدفع التهمة فى إصرار دون أن يدفع الحجة بالحجة، وإنما كان دفاعاً عن صديق له، مهما يكن الدفاع نوعاً من الخطابة وليس تفنيد وقائع..

وقلت فى نفسى.. كنا نكتب رمزاً حين كنا لا نستطيع أن

نصارح، واليوم أنا مسئول وحدى عن المجلة التى أكتب فيها..
فمتى أقول الحق الصريح إذا لم أَقُلْه اليوم..

ويتحدث كيف كتب مقالاً أثناء الندوة التى كان يعقدها توفيق الحكيم فى صباح أحد أيام الجمع بالطابق الأعلى من فندق النيل، يهاجم فيه عبدالناصر الذى نُشر فى ١٤ فبراير سنة ١٩٧٦..

كان المقال عنيفاً.. وكانت ردود فعله عنيفة حتى أن يوسف السباعى عرض عليه أن يعمل معه وكيلاً للوزارة ولكنه رفض وقال له:

– ما زال عندى بضعة أفدنة أبيعها ولا تحمل همى..

ويحدثنا ثروت أباظة.. كيف التقى بالرئيس السادات بعد خطاب ألقاه بمجلس الشعب، وطلب الالتقاء بالصحفيين.. وقال:

– يا ثروت اكتب مقالة أخرى أحسن الجماعة زعلانين.. اكتب مقالة أخرى..

قلت: لقد كتبت مقالة بعدها، هل قرأتها سيادتك؟

قال فى سماحة: قرأتها.. إنما المقالة الأولى لم أقرأها.. اكتب مقالة أخرى..

– أمرك..

وخرجنا وسِرْت مع عمى فكرى باشا وقال لى:

– ماذا ستفعل؟

- لا أدرى..

- إنه لم يستدعنا جميعاً إلا ليقول لك ما قال..

- هذا واضح..

- امدح الرئيس السابق..

- الموت أهون..

وذهبت إلى البيت، وأدركت أننى إذا ما حاولت النوم، فإن النوم سيستعصى علىّ، فأمسكت بالقلم وكتبت ما معناه:

- فى ظل الحرية التى أتاحها لنا أنور السادات سننسى ما فات، ونحاول أن نقيم ما تحطم من نفوسنا..

وفى حديث الذكريات.. يتحدث ثروت أباظة كيف سافر إلى السعودية مع الرئيس السادات، وأنه التقى بالشيخ محمد متولى الشعراوى عند وزير الإعلام السعودى الدكتور محمد عبده يمانى، وإذا بالشيخ الشعراوى يحفظ بالكامل مقالتى عن عبدالناصر وقال له:

- لقد قرأتها ثم ظللت أنظر إليها فما رفعت عينى إلا وقد حفظتها جميعاً..

ويتحدث عن حزنه لوفاة السادات، وكيف أن الدكتور صبحى عبدالحكيم رئيس مجلس الشورى فى ذلك الوقت أخبره أن الرئيس مبارك يريد أن يراه.. ويقول ثروت أباظة:

- وكنت قد التقيت بالرئيس العظيم فى اجتماعات الحزب

الوطنى، وتكلمت أمامه حين كان نائباً لرئيس الجمهورية، ومن أفضاله علىَّ وعلى كُتَّاب مصر أننى طلبت فى أحد الاجتماعات أن تعفى الحكومة الكتاب الأدبى من الضرائب أُسْوة بالكتاب الجامعى، وكانت حجتى أن الكتاب الجامعى سيوزع حتماً أما الكتاب الأدبى فمصيره مجهول.. وفى الاجتماع التالى أعلن السيد الرئيس مبارك:

– وأعفينا الكتاب الأدبى من الضرائب، علشان خاطر الأستاذ ثروت..

والرئيس مبارك هو الذى رشحنى لأكون وكيلاً لمجلس الشورى..

وقد طلبنى الأستاذ كمال الشاذلى فى منزلى وقال وهو يضحك:

– أنت نائم يا خويا؟

فضحكت وقلت:

– هل هناك مانع؟

وأبلغنى بترشيحى لوكالة مجلس الشورى التى ما زلت أشغلها حتى اليوم..

قلت له: أستاذ ثروت.. العالم اليوم يتجه نحو ما يسمى بالعولمة.. فما هو مستقبل مصر فى ظل تلك العولمة؟

– قال: العولمة.. هذا اللفظ لا يؤدى إلى المعنى، أنا أعرف العالمية ولا أعرف العولمة..

هل يمكن أن يتحول العالم إلى قرية كونية تحكمها حكومة واحدة كما تنبأ برتراند راسل؟

- مستحيل.. لأن عامل الوطنية والقوميات يمنع ذلك..

يقولون: إن العدو للغرب الآن هو الإسلام بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، كما أعلن ذلك فيلسوف هذا الفكر هانجتون؟

- كلام هانجتون لا قيمة له.. إنها هرطقة.. فالإسلام ضد العنف.. إنه دين المودة والتسامح.. وعلاقة الإسلام بالمسيحيين علاقة ود وحب وتفاهم.. والإسلام لا يشكل عدواناً للغرب..

وأخيراً.. لو سئلت كما يقول الأقدمون.. لو استقبلت من أمرك ما استدبرت هل تسير حياتك على نفس النمط الذى سارت عليه؟

- الله سبحانه وتعالى جعلنى أسير فى طريق لم أُعد نفسى له.. وأنا راض كل الرضا عما فعله بى.. فأنا كثروت أباظة كوَّنتنى ظروف سياسية واجتماعية.. سارت بى فى طريقى الطبيعى.. وأحمد الله عليه..

و.. ينتهى الحوار.. ولا ينتهى عطاء كاتبنا الكبير..

المراجع

● مؤلفات ثروت أباظة الروائية

- ابن عمار
- هارب من الأيام
- قصر على النيل
- ثم تشرق الشمس
- لقاء هناك
- الضباب
- شيء من الخوف
- جذور فى الهواء
- خيوط من السماء
- طارق من السماء
- الغفران
- خشوع
- بريق فى السحاب

● مجموعات قصصية

- الأيام الخضراء

- حين يميل الميزان
- نوع من الحب

الدراسات الأدبية

- السرد القصصى فى القرآن
- شعاع من طه حسين
- القصة فى الشعر العربى
- ذكريات لا مذكرات

● لمحات من حياتى
● النماذج البشرية فى أدب ثروت أباظة للدكتور عبدالعزيز شرف
● ثروت أباظة ومرايا الآخرين — محمد صبرى السيد
● الدين والفن فى أدب ثروت أباظة — مهدى بندق
● قراءة فى الفكر الروائى عند ثروت أباظة
عاطف عز الدين عبدالفتاح

الفهرس

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٨٣١٥
الترقيم الدولى	I.S.B.N 977-202-245-1